

## شعر : عمر الكثراري

.....

لم يبق في بلد السلام حمائم  
ذبحت لتنعم بالصقور عمائم  
ويفرّخ البجع الغنيّ مكائها  
و " تعيش " في وطن الرّشيد جماجم  
أين المروءة والسّلام لقادم ؟  
بدل السّلام تلوح منه شتائم  
طلب الرّشيد من السّماء غمامة  
فأنته تسعى بالسّقاء غمام  
واليوم يطلب من أراه تنافه  
وتقام ههنا اللّقام ولائم  
لن يحصل الأمل البسيط لطالب  
حتى يبرّ و إن تضرّع صائم  
في عصر من غمر العوا لم صوته  
وضعت لبعض في الحياة كمائم  
كي يستريح ذوو اليسار من اللّغا  
وتحول في بلد الرّشيد بهائم  
إن الإرادة في الحياة تزينها  
قل لن تزينك يا رفيق خواتم  
لو أنّ من طلب الكرامة حاملا  
طلب المحال فلن يلومه لائم

## كلمة العدد

## هل هو الخريف أيتها الثقافة ؟!

كتبها : جمال الشراي

يزامن صدور هذا العدد بداية فصل الربيع بما لصورة هذا الفصل من وقع وإيجاء جميلين . وإن كانت هذه الصورة قد تغيرت لدينا - نحن الكبار - عن تلك الصورة التي رسمتها لنا الكتب المدرسية وصدقته طفولتنا الساذجة عن دفئه فزهو ووجوه لتكذبا الحقيقة حين كنا فلم نجد منها سوى بعض وهم فلا الدفء دفء ولا الأزهار يانعة ولا العصفير شادية ولا الفراشات ترفرف لكن خيال المؤلفين قد أوقف اللحظات القليلة وأقنعنا بوهما ولعل الوهم نفسه لا يختلف عن أوهام كثيرة عشناها ونعيشها لنفيق في كل مرة عند أفولها على خيبة أمل كبيرة .

وأصعب هذه الأوهام وأقساها وهم المثقفين وأخصّ الحقيقيين منهم فهم وحدهم يحلمون ويحلقون بعيدا بآمالهم ليكتشفوا في النهاية زيف الحلم وزيف المشهد الذي يعيشون فيه واحتشاده بالأفئدة والدمى المتحركة .

حين يلامس المثقف واقع الثقافة عن وعي لبلج طور الفعل ومرحلة التأسيس يصاب بارتطام رهيب وارتداد أحلام كان بناها

على زبدٍ فلا حال الثقافة مثلما كان تصوّر ولا المثقفون بالالتزام والصدق اللذين تخيلهما بل كل ما لاح له لم يكن في الواقع سوى ومضة إشهارية عابرة لبضاعة كاسدة وتجاوزت تاريخ صلوحيتها بأمَدٍ طويل فلم تعد تصلح لا للاستهلاك ولا للترويج .

ما الذي تعنيه كلمة " مثقف " أو أي دور بالتحديد تحتفظ به الثقافة يلعبه المثقفون حين تسود الرداءة وينحرف الذوق العام إلى درجة يصبح الكل فيها مثقفاً وشاعراً ومؤلفاً ومطرباً ومغنياً وممثلاً وفناناً تشكيليّاً وراقص بالي ونحما يتزاحم الآلاف لاستقباله ورؤيته والتبرّك بلمسة يده وعناقته لو أمكن ذلك .

إنّ المشهد بالتأكيّد أفضح من الصورة لكن الكلمة واحدة ولا تسع المعنى فهو - أي المشهد - يحتاج وقفة لوم وإعادة نظر لوقف هذا الزيف الذي سوف يغتالنا إذا لم نوقفه ولم نتصد له وهي مهمّة ليست موكلة للهيئات الرسميّة ولا أيضاً للجمعيات المعنيّة بالمسألة الثقافيّة بل للمثقف الصادق أولاً وللمثقف الفاعل آخرًا ...

## بواكير التحليل الإثنوغرافي للمجتمع التونسي

بقلم : علي الصولي

\* مقدمة :

الأنتروبولوجيا (.) والإثنولوجيا. وهذا

الأخير ينقسم بدوره الى فرعين:

"الإثنولوجيا الأولية" والتي تعتبر

الإثنوغرافيا جزءا منها والإثنولوجيا

المقارنة"

ويذهب عالم الفلكلور (.) بول

سايو Paul Sebillot "سنة

1886 إلى أن "الإثنوغرافيا التقليدية"

هي "مجموع العادات والأعراف

والمعتقدات والحرفات والرسومات

الشعبية..." وقد ميزها عن "الفلكلور"

الذي يضم الأدب الشفوي أي

القصص والأساطير والأغاني والحكم

والألغاز ...

1- التحليل الإثنوغرافي لدى

العرب-المسلمين :

وقد ألح بعض العلماء (.) على

وجوب دراسة الإثنوغرافيا لكل

الجوانب المادية والاجتماعية والفكرية

لاشك أن تاريخ علم "الإثنوغرافيا

Ethnographie (.) بدأ مع

الرحلات السياحية والوصف الجغرافي

والمغامرات البحرية التي قدمت لنا

صورة عن حياة الأمم والشعوب

والقبائل في الأماكن البعيدة .

وتعتبر "الإثنوغرافيا" جزءا مكمل

لعلم "الإثنولوجيا" (.) Ethnologie (.)

وفرعا مغايرا لها في الأهداف. وقد

أجمع المختصون في الميدان على اعتبار

الإثنوغرافيا هي الجانب الوصفي

للإثنولوجيا. إلا أن التعريف العصري

الدقيق للإثنوغرافيا قد نشر ووزع

لأول مرة عن طريق كتاب " أندري

ماري أمير Andre marie

ampere "عرض تحليلي للتصنيف

الطبيعي لكل العلوم الإنسانية" (.) وفيه

قسم العلوم الإثنولوجية إلى علمين:

لنا فيها التراث الموسيقي والأدب الشعبي بملاحقه وقصصه ونوادره وفكاهاته وأشعاره...".(٠).

## 2- الإثنوغرافيا في القرن التاسع عشر :

وبحلول القرن التاسع عشر الميلادي عصر التوسع الإستعماري الأوروبي، انحرف دور الباحث الإثنولوجية والإثنوغرافية، فأصبحت تلك الدراسات وظاهرة الاستعمار "فرسا رهان ورضيعة لبان أحدهما" يسأل الآخر أها عن قصد أو بدون قصد... (٠٠) فالإدارة الأوروبية التي تسيطر عسكريا على البلاد بذلك كل الجهود وسخرت كل الوسائل للتعرف على الأهالي وعلى المقاييس والمحاحيات الموجودة في تلك الفئات حتى تكون على استعداد تام لمهاجمة أي رد فعل منها. ومن هنا زاغت الباحث الإثنولوجية بفروعها المختلفة عن وظيفتها العلمية، فحند المستعمرون عددا من الضباط الى جانب الرحالة والمبشرين برتحلون علم الاجتماع

للتقافة. إلا أن الباحث في هذا الميدان سيكتشف حتما أن العرب - المسلمين قد شرعوا في مثل هذه الدراسات منذ القرن الثاني للهجرة فيما

وضع ابن الكلبي كتاب "الأصنام" (٠). ثم جاء "ابن قتيبة" فدرس "إيمان العرب في الجاهلية" ثم جاء "أبو الفرج الأصبهاني" فوضع كتاب الأغاني في عشرين جزءا وهو ديوان الفلكلور العربي. درسوا الفلكلور مباشرة هم الفقهاء والأخلاقية والسفينة الذين ألفوا كتب البدع، فيفترقون بين البدعية والشرعية. فالشرعية هي ما جاء به الشرع حسب الكتاب العزيز والسنة المطهرة والقياس والإجماع. والبدعية هي ما لم يرد في ذلك وكان من متبقيات الوثنية أو النصرانية أو اليهودية أو مما ابتدعه الشعب قبل الإسلام أو بعده. وما كان من البدعية لا يخالف الإسلام سمي عرفا... ثم جاء الموسيقيون والفداويون (القصاصون) وألفوا سفائن (جمع سفينة) (٠). حفظوا

الطالبي "كنا نحس بمركب النقص الذي زرع فيها من تخلفنا، ننقم نعمة كبرى على عاداتنا وتقاليدينا ولا نريد أن ننظر فيها ولا أن نسجلها للتاريخ فمن بين بني وطن المغرب (أي بلدان المغرب العربي الكبير) كتب في عاداتنا وتقاليدينا منذ قرن أو نصف قرن ؟..."

وبإمكاننا أن نقول إن في كتاب "صفوة الاعتبار" ما يشفي غليل هذا التساؤل الذي جاء بعد أكثر من قرن من ظهور هذا التأليف - الموسوعة. ولعل طراقة صفوة الاعتبار تبدو في انفراده بعرض منظم ودقيق عن المجتمع والإدارة والبنى التحتية وكذلك القضاء والتعليم والإقتصاد والعادات والتقاليد والوصف الجغرافي - الإنساني للقطر التونسي، كما احتوى على معلومات علمية عن القبائل في البلاد التونسية وأماكن إقامتها وعدد السكان وطبائعهم ومعتقداتهم. وفيه أيضا وصف لمدن المملكة ولأبواب الحاضرة وأسواقها وجوامعها وزواياها.

ويعدون أنفسهم علماء في الميدان . ولكن رغم ذلك فإن الحقيقة الموضوعية تقر بأن بعض ما قدموه من دراسات هي صور صادقة لواقع يصعب تحريفه. فخلدوه في بحوثهم وأنقلوه من اندثار محقق. فتركوا لنا وثائق نادرة وفريدة من نوعها لا تقدر بشمن ...

ومع هذا نلاحظ أن نية هؤلاء لم تكن في كل الأحيان بريئة بالمفهوم العلمي حيث كانوا ينظرون الى تلك الظواهر الاجتماعية بعين التقوى والاحتلال والعنصرية وهو ما يعرض تلك العينات التي قدموها لنا للنشوية والتحريف. بالتركيز على النوادر والعجائب والشواذ. والنتيجة هو تبرير تلك الدراسات للواقع الاستعماري وتركيبته.

ومهما يكن من أمر فإننا ندين هؤلاء الإثنوغرافيين الأوروبيين بالفضل الكبير في ما قدموه وتركوه لنا في هذا الميدان. لأننا - كما يقول المؤرخ التونسي المعاصر "محمد

- 3- المباحث الإثنوغرافية في "صفوة الاعتبار"
- خصص الشيخ محمد بيرم الخامس في الجزء الثاني من صفوته فصلا كاملا سماه: "فصل في بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم"، قسمه بدوره إلى مباحث اتنوغرافية ضمت بالخصوص:
- أ - مطلب في "ديانة السكان ومذاهبهم: ذكر فيه
- تعظيم الأهالي لشعائر الدين والأخلاق الحميدة ثم انحرافهم عن ذلك
- عادة التدخين وحكمها الشرعي
- الملاهي في رمضان
- الملاهي في حارات الإفرنج ومواقف أعيان الأهالي منها
- الفروسية وولوع الأهالي بها والمواكب الخاصة بها
- أقسام الأهالي وقد قسمهم إلى ثمانية أقسام
- ب - مطلب في التجارة، وفيه:
- ذكر مفصل عن البضائع المصدرة والمستوردة
- المواصلات ونقل السلع في الحاضرة والآفاق برا وبحرا مع الإشارة إلى هيمنة السلع الفرنسية والإيطالية.
- ج- مطلب في ترتيب الأحكام والإدارة، تكلم فيه عن:
- موكب جلوس الباي في المحكمة للقضاء
- العمال(الحكام) ونواهم وأعوامهم وأنواع القضايا الراجعة بالنظر إليهم
- مجلس الشريعة: أعضاؤه ونشاطه وفروعه
- المجالس والجمعيات الخاصة بالحاضرة: مثل المجلس البلدي وجمعية الأوقاف ومجلس التجارة ومجلس حفظ الصحة.
- د - مطلب المعارف: حلل فيه وضع التعليم وآفاقه. فسلط الضوء على:
- الزيتونة وبرامجها ومشائخها
- الصادقية
- مدارس النصارى واليهود
- الكتابية
- التعليم في بقية جهات القطر(مع تعليق يرم على مستوى التعليم)

- هـ - مطلب في الصنائع، تحدث فيه  
عن: - منازل المسافرين  
- الفلاحة ومشاكلها  
- الطرقات والمباني في غير الحاضرة  
- صناعة الشاشية  
- مساكن البدو  
- صناعات الأحذية  
ز - مطلب في اللباس الرسمي والرتب  
والعلامات، وقد فصل فيه :  
- العطارون والحرايرية (صناعة الحرير)  
- التوارزية (الخياطون) والحياكة  
- لباس أهل المجلس الشرعي من  
الأحناف والمالكية  
- لباس أهالي الحاضرة بما في ذلك  
الأعيان  
- النقاشة والطرز  
- صناعات أخرى : مثل صناعة  
والنحاس  
السلح والسفن والنسيج القطني  
والخزف و"نقش حديدية" والجلينز  
http://Archivebeta.Sakhril.com  
- لباس أهل البوادي  
- لباس النساء في الحاضرة  
- الموسيقى وآلاتها وأغانيها وحكمها  
الشرعي  
ح - مطلب في الأكل، سجل فيه :  
- الصنائع الضرورية : مثل البقالين  
والجزارين والحلاقين  
- أشهر المأكولات الأصيلة في المدن  
والبوادي  
- أنواع الخبز، وفيها اثنا عشر نوعا  
في الحاضرة  
و - مطلب في المساكن والطرقات :  
وقد احتوى على :  
- صورة الدار  
ط - مطلب في الأعراس والمواكب:  
واصفا فيه تقاليد وعادات هذه  
- الخوانيت والأسواق



أضاف بيرم بعض المباحث الجزئية

المكملة للوصف الجغرافي والإنساني

والإداري والمعماري وعن الأصول

العرقية للمجتمع التونسي وديانته

وطبائه ... التي وردت في الفصل

الذي خصصه "لعوائد أهل القطر

وصفاقهم"، فعمق الوصف والتحليل

واستعمل الإحصاء وخاض في دقائق

الأمر فذكر : الحدود الجغرافية للقطر

بجسب الدرجات في خط الطول

وخط العرض، والتضاريس من

الرواسي والجزر والأحواض والبحيرات

والأنهار والجداول والعيون والجبال

والأغواط (المستنقعات المالحة كشط

الجريد)... إلى جانب حديثه عن المياه

المعدنية والمعادن التي تزخر بها البلاد.

وخصائص أراضي القطر، مع

تقسيمها إلى ثلاثة أقسام باعتبار

الخصب. كما تكلم بإطناب عن

النباتات والغابات والآحام والغياض

والمزروعات الشهيرة مثل شجرة

الزيتون بأنواعها ومختلف الأشجار

المثمرة كأصناف القوارص والنخيل

المناسبات في:

- عيدي الإضحى والفطر

- المولد النبوي

- عاشورا

- الختان

- الأعراس

- حضور أهل الموسيقى

- المآتم

ي - مطلب في اللغة، ذكر فيه :

- الكلمات البربرية والأعجمية

- لغة المخاطبة والمكاتب في الحواضر

- لغة المخاطبة والمكاتب في الوادي

والقرى

- اختلاف اللهجات بين المناطق

- المقارنة باللغات الأخرى وبأصل

اللغة العربية

- نص القاضي عياض في صحيح

العربية الواردة على لسان الرسول

صلى الله عليه وسلم .

4- في الوصف الجغرافي والإنساني

للمجتمع التونسي:

في الجزء الأول من صفوة الاعتبار

وفي سياق تعريفه بالقطر التونسي

## \* الخاتمة :

التي تبلغ عشرات الأنواع... كما أن في الصفوة وثيقة نادرة تعرفنا بطبيعة القطر وما طرأ على ثروته الحيوانية من تغيرات حيث ذكر الحيوانات الأهلية والوحشية التي انقرض منها البعض مثل أسد منطقة "عرار" من الجهة الغربية والنمر والفهد ... وكذلك الحشرات والطيور الأليفة والوحشية.

والطريف في هذا تعليقات يرم لدى وصفه لطبيعة البلاد وحيواناتها ، التي تتم عن وعي ثاقب وراق بأهمية ما يسمى في عصرنا الحاضر بـ "حماية الطبيعة أو المحيط" (٢٠) النظرية ورجوعه إلى الاجتماعية.

ثم يواصل صاحب الصفوة في وصف مدن القطر وأبواب سور الحاضرة وحصونها وأشهر بطاقتها وأسواقها وجوامعها وضواحيها. وسجل بشيء من الدقة التقسيمات الإدارية لمناطق البلاد التونسية بالنظر إلى السياسة إذ تنقسم الإيالة إلى سبعة عشر عمالا(٢١). وكشف عن "أصل أهالي القطر التونسي وديانتهم وعددهم... (٢٢)

نحن إذا أمام موسوعة إثنوغرافية بل قل اتنولوجية نادرة عن المجتمع التونسي قدمها لنا خامس البيارة الذي عاش مختلف طبقات المجتمع وعرف تركيبته وثقافته وتأمل في ظواهره الاجتماعية والدينية. فلم يكن محلا من الخارج أو غريبا عن تلك البيئة التي لم يكتف بوصفها بل سجل لنا مواقف تراوحت بين النقد والتسامح وحتى التبرير معتمدا في أحكامه على مرجعيته الدينية وثقافته النظرية ورجوعه إلى الاجتماعية.

ولا شك أن المعلومات التي وفرها لنا محمد يرم الخامس في كتابه "صفوة الاعتبار" تعد مرجعا هاما وأساسيا في دراسة المجتمع التونسي وثقافته وتاريخه وحتى حاضره، نظرا لأن التحليل الإثنوغرافي ومن وراءه الإتنولوجي هو منهج داخل في نطاق علم الاجتماع كما هو معروف.

وقد حان الوقت ليتحرر الباحثون في هذا الميدان من الأساليب والمناهج

والمفاهيم والنظريات السلبية التي أقلام(الكثير من الباحثين المحليين)... تركتها بحوث قام بها مستشرقون حتى يكون انطلاقنا في هذا الميدان متأثرنا بها، بل أصبحت من فئات الدقيق انطلاقا سليما وواعيا بهذه الأجيال الحاضرة "الذين يدرسون في القضايا..."(..). الجامعات إما مباشرة أو عن طريق

الأمثال هي حكمة الشعوب. فهي نتاج مواقف حدثت أو تجارب وقعت فذهبت مثلا يضرب. والأمثال العامة. التونسية لم تترك موضوعا إلا وتحدثت فيه. وسأتناول في هذا البحث علاقة هذه الأمثال بالميدان الفلاحي وأهميتها في حياة الفلاح.

فـ "إدي القرض وأنقب الأرض" يحيلنا على حرص الفلاح الشديد لخدمة أرضه. فخدمة الأرض تأتي مباشرة بعد العبادة.

ويقال "الفلاحة عبادة" <http://Archivebeta.Sakhr.com>

والفلاحة تعب وراحة".

فالفلاح يدرك أنه عندما يفلح أرضه سيتعب لكن سيحس بالراحة عند جني المحصول.

ويقال: "الفلاحة متعة، والصناعة منعة، والتجارة فجارة".

فالفلاح إذ يشقى في حقله فهو يستمتع بهذا العمل. والفلاحة في رأيه أفضل من التجارة ما دامت التجارة يصحبها غش وأمان كاذبة وذلك هو المقصود من التجارة فجارة.

مختار المومني

## التصوف يتغلغل في البربر في دول المغرب العربي ويقضي على ردهم ويقاوم الظلم

بقلم : د. مبروك السوسي

إن طبيعة البحث تضطرننا إلى العودة إلى جذور الحياة الروحية للعصر الذي نؤرخه، فالاعتصام الديني الذي أحدثه الموحدون والمرابطون يعتبر من أكبر عوامل نجاح التصوف في الشمال الإفريقي.

والواقع أن هناك أسبابا كثيرة لا تشمل التصوف بسرعة فالتفتت الخلق وإهمال المسؤولين والأعيان لقواعد الدين، وترف وبذخ الفقهاء المرابطين، وفساد السلوك... كل هذه الدوافع وغيرها دفعت الصوفية إلى أن يثوروا وهيئات للتصوف التغلغل في الشمال الإفريقي واستقطاب المريدين وخاصة في الأرياف.

ويرى أمين بلاريوس بالاعتماد على "الفريد بيل" أن ابن مسرة هو أول من أدخل التصوف في الأندلس

وذلك في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي)<sup>(1)</sup>، وقد يطول بنا الاستطراد لو أننا تعرضنا إلى الخصومة التي كانت قائمة بين الصوفية والفقهاء، ولكن نمر بحالة لنصل إلى التوفيق الذي حصل بينهما ابتداء من القرن الخامس

هجري بفضل الإمامين القشيري والغزالي. وقد بين القشيري في رسالته وهي خلاصة لمبادئ التصوف بأن لا تعارض بين التصوف والدين وأن الحقيقة تستمد جذورها من الشريعة. ولقد تسربت أفكار ابن عربي وابن سبعين إلى تونس وأصبح لها أتباع، فابن عربي كما هو معهود زار تونس في العهد الحفصي، وكانت له صلات وثيقة مع مريدين، ومع السلطة القائمة نفسها، وعلا شأنه حتى أصبح من المقربين للبلاد الحفصي وذاعت

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhnet.com

هذا سببا من الأسباب التي لم تؤلب  
الفقهاء والمحافظين عموما على الشيخ  
القرواني لما أشاع نظرياته الفلسفية.  
وتجدر الملاحظة إلى أن الفقهاء قد  
قاوموا ابن عربي وهاته المقاومة التي  
لقيها هي نفسها لقيها ابن سبعين بعده  
على يد الفقيه التونسي أبي بكر بن  
خليل السكوني<sup>(4)</sup> الذي ألب الفقهاء  
ضده وقد تحدث ابن خلدون عن  
ذلك فقال :

وأعلن بالنكر له (أي لابن سبعين)  
والمطالبة له شيخ المتكلمين بإشبيلية أبو  
بكر بن خليل السكوني فتنمر له  
المشيخة من أهل الفتيا وحملة السنة  
وسخطوا حالته وخشي (ابن السبعين)  
أن تأسره البيئات فلحق بالمشرق<sup>(5)</sup>  
وألصقوا به تهمة "الزندقة" في دوائر  
الفقهاء وبين أوساط العوام<sup>(6)</sup>. ولم  
تقف مطاردته في تونس وحدها بل  
أرسلوا رسولا إلى مصر يحذر أهلها  
من دعوته الضالة حسب زعمهم.  
وهو قول ابن سبعين بوحدة  
الوجود<sup>(7)</sup>.

أفكاره وتوسل به بعض معاصريه  
لقضاء حاجاتهم مع السلطان. وقد  
كان مقبول القول عنده متحكما<sup>(2)</sup>  
ورسالة القدس<sup>(3)</sup> التي كتبها سنة  
600 هـ / 1203 م) كان قد بعثها  
إلى الصوفي محمد بن عبد العزيز  
المهدي في تونس .

والنتيجة التي أريد أن أصل إليها  
هي أن أفكار ابن عربي كانت رائجة  
في تونس وأن كتبه كانت قد اطلعت  
عليها النخبة. ولقد أشرت في تعليقي  
على تحقيق (مجموع الفضائل) إلى كثرة  
من مواطن الشبه بين ابن عربي  
والشاذلي إن لم أقل تأثر الثاني بالأول  
تأثرا كبيرا ولا سيما بكتاب فصوص  
الحكم والفتوحات المكية. ومن خلال  
رسائل ابن مخلوف أيضا نستنتج أن  
الأفكار الفلسفية الصوفية المتعلقة  
بوحدة الوجود والحلول كانت رائجة  
في الساحة الفكرية التونسية مما يدل  
على أن أفكار ابن عربي وابن سبعين  
وتصوف المشاركة عموما لم تكن  
غريبة عن النخبة المثقفة وقد يكون

من القرن السادس الهجري. ويرى أسين بلاسيوس بالاعتماد على "الفريد بيل" أنه ترددت في المرة الصحيحة الأولى للاحتجاج الجماعي ضد تحريم وإحراق كتب الغزالي التي لعنها الفقهاء التقليديون في قرطبة<sup>(9)</sup>. وظهرت كتب تراجم للصوفية ألفها المعاصرون لهم ومنها: كتاب رجال التصوف ليوسف التادلي والمقصد الشريف والمرع اللطيف في ذكر صلحاء الريف لعبد الحق الباديبي

ورسالة القدس لابن عربي.

وكان هؤلاء الزهاد من الجنسين، ومن كل المهن، والوظائف والأعمار والطبقات الاجتماعية<sup>(10)</sup>. وهم قد نشطوا في الدعوة حتى أصبح حديث القوم يدور حول كرامات هذا الصوفي أو ذاك. وقد اتخذ بعضها سلوكاً للمسافرين، وكان الشعب يتعاطف مع الصوفية ويلجأون إليهم للتبرك واستحلاب الدعاء والشفاء من المرض وتفريج الكرب والتخلص من حاكم ظالم.

وسواء تأثرت المدرسة الشاذلية التي انتمى إليها ابن سبعين بمدرسة المرية التي نسب إليها ابن عربي أو لم تتأثر في القرنين الخامس والسادس الهجريين فإنه ليس ببعيد أن تكون المدرستان قد أخذتا من مصدر واحد هو مدرسة ابن مسرة التي أذاعت آراء الأفلاطونية الحديثة ومزجت التصوف بالآراء الغنوصية التي تنحو وحدة الوجود<sup>(8)</sup>. وعلى هذا فإنه لم ينشأ في تونس تصوف فلسفي إلا على يد

الشابي (أحمد بن مخلوف).

نعم هناك صوفية كثيرون منتشرون في المدن والقرى والأرياف تحدث عنهم كتب السير في التراجم لهم شطحات صوفية لكن لم يفلسفوا التصوف وأما الغزالي فقد هاجم الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة واعتبر طرفهم عقيمة.

ورغم المعارضة التي لقيتها كتبه سواء في الأندلس أو في الشمال الإفريقي إلا أن التصوف قد مد جذوره وتكون شيوخه ومثلوه بداية

الفتوح. وكان الغرض من تأسيس الزوايا هو نشر الدين ومبادئ الطريقة التي يتبعها الشيخ ويدفن فيها حين تدركه الوفاة، وتسد إدارتها إلى حد أولاده أو مريديه. وهاته الزوايا انتشرت في المناطق الجبلية والريفية بغية جلب أكبر عدد ممكن من البدو والمريدين<sup>(11)</sup> وهؤلاء المريدون الذين تخلقوا حول شيخهم سواء كان مقبلا بزواية أو حكمت عليه الظروف أن يعيش مشردا كونه شيئا فشيئا ما يسمى بالطريقة فنجد الشاذلية<sup>(12)</sup> وطريقة أبي مدين شبيب الغوث التلمساني المتوفي سنة 592 هـ<sup>(13)</sup> والطريقة الشاذلية<sup>(14)</sup> نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفي سنة 656 هـ، وهذه الطريقة الجزولية<sup>(15)</sup> والطريقة الشاذلية.

وهاته الطرق جذبت إليها المريدين الذين تخلقوا حولها شيئا فشيئا ولعب شيوخها دورا كبيرا في زرع مبادئ الشريعة والحقيقة في نفوسهم.

ولقد نضجت النظريات الصوفية سواء منها ما نبت بالشرق أو بالمغرب وكان للحجاج وهرجة الأندلسيين دور هام في نشر الأفكار الصوفية وإشعاعها خاصة وأن التصوف لم يعد مجرد نظريات فلسفية تلقى للخاصة كما كان الأمر في المشرق الإسلامي أول الأمر حيث كان أقطاب الصوفية يحرصون على أن تبقى معارفهم خاصة بهم دون طبقات الشعب. وهذا يدعونا إلى تحديد مميزات التصوف في هذا العهد الذي نورد فيه وإن كان بحثنا مركزا على دراسة تصوف الشاذلي أو الفرقة الشاذلية دون غيرها من الفرق التي انتشرت في الشمال الإفريقي بين صفوف البربر. وكان لها دور بالغ في نشر الإسلام واللغة العربية بين البدو بالخصوص.

ولقد تبلور مفهوم الزاوية بداية من القرن السابع وتخلق الفقراء حول شيوخهم. وفي الزاوية يأكلون، وفيها يجد المسافر والحاج حسن الاستقبال والضيافة وإلى شيخها يدفع الأتباع

والتركيز على توعية المناطق الريفية. وهذا الريف المهمل والثائر والمترد سيحتضنه المتصوفة فيحسن إسلامه من جديد وتعنف ثوراته على الحاكمين ويذكر المؤرخون أن البدو قاموا بثورات في المغرب العربي بتحريض من صوفيتهم، فهذا يوسف بن يعقوب ثاني ملوك بني مرين في فاس قد اتخذ إجراءات مشددة خوف إمكانية قيام ثورة شعبية ضد سلطانه يتزعمها صوفي. وفي الناحية الشرقية من الشمال الافريقي كان على السلطان الحفصي في تونس سنة (713 هـ / 1313) أن يخمد فتنة صوفية قامت في الجنوب أثارها صوفي كان تلميذا لعبد الرحمان التسولي<sup>(17)</sup>. وفي القيروان قام صوفي آخر كان رئيس طريقة الشابية وهو سيدي عرفة واستولى على الحكم وثار ضد شارل كان سنة 1535م، وضد الحسن الحفصي سنة 1540 م<sup>(18)</sup>، وهذه الأمثلة وكثير غيرها تدلنا على أن التصوف دخل

وكانوا يحبون شيوعهم ويعتقدون أنهم قادرون على تجديد الدين ورفع المظالم. ومنذ بداية القرن الخامس بشر الصوفية بظهور مهدي منتظر سيخرج من صفوفهم ويكون هذا المهدي من نسل علي وفاطمة وهو المسمى عندهم بالقطب أو الغوث.

وابن خلدون المتوفي سنة 808 هـ، يذكر في المقدمة أن هناك تشابها بين الصوفية القائلين بالحلول ووحدة الوجود وبين الفاطميين القائلين بإلهية الأئمة وقد اشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم<sup>(16)</sup>. ونستطيع أن نزعم أن القطب سواء حل فيه روح الهي أو لم يحل قد لعب دورا هاما على المسرح السياسي والديني والاجتماعي. ولم يعد التصوف مجرد رياضة روحية تهدف إلى القرب بين الله والسالك، بل أصبح -سياسة- لتقوم ما اعوج من طباع النفوس، وتحذيتها والعودة إلى الإسلام النقي الصافي ومخاربة الظلم



ميدان العمل التطبيقي ولم يعد مجرد وعظ وإرشاد في المساجد والزوايا بل امتشق السالكون السلاح في وجه

الطغاة، وانضم إليهم كثير من العامة والبدو الذين كانوا مهملين كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وهاته الثورات التي قام بها الصوفية لم تزل عناية المؤرخين مع الأسف الذين كانوا بدون شك يعملون لفائدة البلاطات والسلطة القائمة على أنه يجب أن نقرأ حساباً لبذخ الفقهاء

وترفهم والمناصب العليا التي حظوا بها زمن المرابطين والموحدين والخفصيين الذين يعتبرون امتداداً للموحدين في تونس. ويحدثنا المؤرخون أن خلافاً

قوياً نشأ بين الفقهاء والصوفية "فالصوفية نظروا إلى الفقهاء على أنهم أهل ظواهر ورسوم إلى أنفسهم على أنهم أهل الحقائق والبواطن"<sup>(19)</sup>.

فلا عجب أن بطارد ابن سبعين وابن عربي في تونس وينكل بالصوفية متعسفين. ولست أدري كيف سلم أحمد بن مخلوف من أذى الفقهاء وله

نظريات صوفية موعلة في القول بوحدة الوجود والتجلي الإلهي في الكون.

ذكرنا سابقاً أن الشابي ولد بالشابة بمنطقة الساحل وكانت هاته الجهة تعج بالأولياء من عهد بعيد وخاصة في القرن التاسع الذي نؤرخه.

وتميزت بلدتا قصور الساف والشابة عن غيرها من مدن الساحل بظهور الأولياء والصالحين فني قصور الساف ظهر العارف بالله الطاهر المزوغي

المعاصر لأبي مدين شعيب وكان من أحفاد سيدي المزوغي علي بن عبد القاسم المولود في سنة (776 هـ /

134 م) وكان صوفياً مشهوراً انحدر عنه سيدي علي المحجوب الذي قتله الإسبان بالقرب من المهديّة سنة 1550<sup>(20)</sup> والذي تتلمذ عليه أحمد بن

مخلوف الشابي لما هجر تونس وحل بقصور الساف ومنها

علي الكراي المعاصر لأحمد بن عروس وكذلك أخوه سيدي بوراوي الفحل دفين سوسة<sup>(20)</sup> وفي الشابة

مذهب هو مزيج بين التصوف السني والتصوف الفلسفي .

وإنه يطول بنا الحديث لو نتحدث عن الحركة الزهدية التي شهدتها إفريقيا قبل ظهور أحمد بن مخلوف

فقد كفانا المستشرق مونشكور والمستشرقان " Octawe

Dupont و Xavier Copplani

"عناء البحث في الموضوع. وكانت

إفريقية تعج بالزوايا والمريدين منذ

عهد مبكر ولكن يغلب عليها طابع

الزهد والانقطاع لعبادة الله<sup>(21)</sup> ولقد

تطافرت ثلاثة أسباب لنشأة الزهد

وتطوره في إفريقية :

أ - عوامل ذاتية أو محلية إن صح

التعبير فلم تخل أمة من الأمم من

ظهور أناس انقطعوا لعبادة الله،

وحبوا الآخرة على الدنيا، وعملوا

على مقاومة الظلم والفساد والدعوة

إلى تطهير النفس والاستقامة في

السلوك والتنديد بالطغاة مهما

اختلفت أشكالهم.

ب - عوامل خارجية وهي بدورها

ظهر سيدي نعمون الذي يدعى ابن

أبي دينار وابن أبي الضياف ومقديش

والوزير السراج أنه جد الشابين،

وهذا خطأ كما ستبينه لما نتحدث عن

حياة الشابي.

والواقع أنه منذ العهود الأولى

لفتح إفريقية ظهرت مساجد لا تقف

وظيفتها عند حدود الصلاة، والتعليم،

وإنما تمتد إلى وظيفة أخرى وهي

اجتماع الناس فيها في وقت محدد من

الأسبوع يجتمعون فيها لقراءة القرآن،

ولذكر الله، ولتلاوة الأشعار الدينية -

الرفائق - وللدعاء، والتوسل، ولتنشيد

المذهب الزهدي. وكما هو معلوم فإن

الشابي قد اتخذ من مسجد الداروي

في القيروان الذي كان إماما له مركزا

لنشاطه.

وهاته تعتبر ظاهرة متميزة إذ أنه لم

يؤسس زاوية أول ظهوره كغيره من

شيوخ الطرق الصوفية الأخرى بل

استغل المسجد ليكون مركز إشعاع

وذكر ودعوة لطريقة صوفية بدأت

بالزهد وتطورت لتصبح طريقة لها

إفريقية ومن زاويته تخرج أبو الحسن الشاذلي وسيدني أحمد بن عروس وشيوخ الشايي بدورهم تأثروا بزواية سيدي أبي مدين. وظهور كثير من الصوفية تحدثت عنهم كتب السير والتراجم لهم كرامات ولاحث عليهم أمور غريبة ولكن لم يتحدثوا في الوحدة والحلول والتجلي الإلهي ولم يفلسفوا التصوف بل إن الطابع العام لتصوفهم هو التصوف

السنن التقليدي والصوفي الوحيد فيما بين أيدينا من وثائق هو أحمد بن مخلوف الشايي فهو الذي يمثل تيار من يمزج التصوف بالفلسفة ويتزع إلى الوحدة. ومن سواه من العرفاء إنما تدل مناقبهم على أنهم زهاد تجردوا من حظوظ الدنيا ووهبوا حياتهم لخدمة الطريقة والتبتل إلى المولى عز وجل والدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويمتاز الشايي بميزة أخرى وهي أنه ترك شيئا مكتوبا يمكن أن يعتمد كوثيقة لتكوين مذهب. وبقية

نوعان مشرقية ومغربية فالمشرق (قبلة العالم الإسلامي) كل الحركات التي ظهرت منذ بداية ظهور الإسلام وجدت لها أصداء في الشمال الإفريقي رأينا ذلك بالنسبة إلى مذهب الخوارج ومذهب الشيعة في القرون الأولى ثم بالنسبة إلى حركة السلفية وإفراز مذهب مالك. وأخيرا بالنسبة إلى النزعة العقلية المعتزلية الأشعرية التي اتجه إليها الموحدون<sup>(22)</sup>.

وكتب التراجم والسير والطبقات مليئة بأسماء الزهاد في المشرق والمغرب وقد لعب الخجاج والرحالة دورا كبيرا في نشر الأفكار.

ج - أما الحركة الأندلسية الزهدية فكان لها أثر بالغ على تنمية الزهد في إفريقية. وسقوط الأندلس أفرز كثيرا من الزهاد الذين طعموا التراث الروحي في إفريقية الحفصية. وإنه يطول بنا الحديث لو نتحدث عن مدرسة القطب أبي مدين شعيب بتلمسان وقد تخرج من زاويته عدد كبير من الزهاد الذين انتشروا في

الصوفية الآخرون كأبي الحسن الشاذلي وأحمد بن عروس وسيدي علي المحجوب وغيرهم ما حفظت عنهم إلا أقوال رواها عنهم مريدوهم ومناقب كتبت بعد مماتهم ولسنا ندري مدى صحة ما كان منها صحيحا وما دس لصاحبه من طرف الأتباع وكثيرا ما كانوا معجبن بشيوخهم وكثيرا ما يخلق الحب الأعاجيب .

وكانت تونس زاخرة بأولياء الله الصالحين، فالزوايا انتشرت في المدن والأرياف وأما البدو بالخصوص فكثر المريدون وشجعها أهل الخير والمعروف وأوقفوا عليها أوقافا. وانتشرت الثقافة الصوفية في ربوع البلاد. وكان الصوفية محل إعجاب واحترام من طرف العام والخاص وأصبحت الزاوية بمثابة المدرسة. وقد تخرج كثير من الفقهاء من الزوايا كما هو الحال بالنسبة لزاوية سيدي محمد الجديدي بالقروان التي تخرج منها كثير من الفقهاء<sup>(23)</sup> وكانت لها مداخيل مرموقة<sup>(24)</sup>.

وهؤلاء الزهاد شاركوا في حياة التصوف والزهد في عصرهم، وكما قال آسين بلايوس: (إن عددا جما من الزهاد والصوفية وأصحاب الرؤى والكرامات والأعمال الخارقة من كل الأعمار ومن الجنسين ومن كل المهن والوظائف والطبقات الاجتماعية يتحولون تباعا على صفحات هذه التراجم الشائقة ويتحركون على مسرح القرى والمدن كما لو كان ذلك على شريط سيمائي مع شخصياتهم العقلية والجسمانية والأخلاقية. والمقسمات العامة لحياهم الصوفية مع طرقهم الخاصة في تكوين المريدن وبجاهداتهم ورياضاتهم كالخلوات والأذكار والقراعات والدعوات والتأملات والسمحاسبات والتهجدات والخلوة والصمت والمجاهدات البدنية والصوم...)<sup>(25)</sup>.

وهذا النص ينطبق تماما على رسائل أحمد بن مخلوف وإن كنا نشك في اطلاع آسين بلايوس على تلك الرسائل. والنظر الدقيق إلى

علم الكلام عنوانه : "لحن العوام فيما علق خطأ بعلم الكلام"، وتوجد نسخة خطية منه بمكتبة برلين رقم 2037. راجع : أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص 150. التبيكي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج لابن فرحون، القاهرة 1329 هـ، ص 254. بروكلمان في :

CAL II Band Berlin 1902 P 250

5- تاريخ ابن خلدون : طبعة دي سلان، ج 2، ص 416.

6- ابن شاذلي : فوات الوفيات، ج 1، ص 247 - 248.

7- الشعراني : الطبقات الكبرى، القاهرة 1343 هـ، ج 1، ص 15.

8- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص 82.

9- ألفرد بيل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 380.

10- المصدر نفسه ص 381 - 382 مقدمة ابن خلدون، ج 3، ص 104-106.

11- راجع : الحبيب الهيلة : الزاوية وأثارها في المجتمع القرواني بداية من القرن السابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن. المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، تونس 1975، عدد 42 ، 43. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 389 - 390.

12- ابن شاذلي : فوات الوفيات، القاهرة 1299 هـ، ج 1، ص 247. أبو الوفا

فحواها يدل على أنها وجهة لأصناف شتى من معاصريه : منهم الزهاد، ومنهم المتصوفون ومنهم الخاصة والعامة ومنهم الذكور والإناث. ويحدثنا ابن خلدون أنه وجد بين متصوفة المغرب عدد من عامة الشعب الجهلة إلى جانب العلماء ويذكر أن لهم نصيبا من الألفاظ الربانية التي أهلتهم للولاية<sup>(26)</sup>.

الهوامش :

1- ألفرد بيل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 377

2- محمود قاسم : رعي الدين بن عربي، القاهرة 1972، ص 16

3- هي مختصر للذرة الفارقة لابن عربي لها قيمة كبيرة لمعرفة التصوف المغربي وفيها معلومات وترجم مجلد أسين أقساما منها إلى اللغة الأسبانية تحت عنوان :

Vidas De Santenes Andaluces.1 Vol in Madrid Granada 1933

راجع تعليق عبد الرحمان بدوي طي كتاب الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 381-382.

4- هو أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل السكوني كان فقيها صالحا توفي سنة(716- 1316) وذكر بروكلمان أن له مصنفًا في

350. الغنيمي التفازاني: ابن سيعين وفلسفته الصوفية، ط 1، بيروت 1973، ص 166.
- 13- أبو مدين شعيب الغوث : جاء في الديباج أنه يلقب بشعيب بن الحسين. وورد في الزركشي أنه شعيب بن الحسن. انجدر من حصن -منتوح- من مقاطعة اشبيلية بالأندلس. عكف على دراسة التصوف بمدينة بحاية مركز العلم والمعرفة في ذلك العهد وتوافد عليه طلبة العلم من كل جهة وأشهرهم علي المسيلي وعبد الحق الاشبيلي. وسعى ضده بعض الوشاة لدى خليفة مراكش الموحد، فامتل وقد ساء ذلك مرعبه وتوفي بتلمسان في حدود عام 590 هـ، وتعتبر تربته من أهم المعالم الأثرية في المغرب. ويقال: "انه طمان طلبته الذين تألموا بحروجه بقوله: لا عليكم شعيب شيخكم ضعيف لا تقدره له على المشي منبه قدرت بغير هذه البلدة ولا بد من الوصول إلى محل المنية والقوم لا أراهم ولا يرونني. فأتلحت نفوسهم وبوصلوه إلى رباط العباد بتلمسان طلب من أصحابه أن ينأوا هناك فوافقه المنية ". وبذكر صاحب تكميل الصلحاء أن جد أبي العباس أحمد الدهماني اليوسفي شيخ الطريقة القادرية بالقروان المتوفي في أوساط العشرة الثانية من القرن الثالث بعد الألف قد أخذ عن الشيخ أبي مدين شعيب.
- راجع : محمد بن صالح الكناشي القرواني : تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان، ص 112.
- 14- راجع ما كتبه المرحوم عبد الحليم محمود عن حياة أبي الحسن الشاذلي الفاهرة بدون تاريخ.
- 15- محمد بن سليمان الجزولي الحسيني المتوفي بمراكش سنة 870 هـ، وهو مؤلف (دلائل الخيرات ومشارك الأنوار في الصلاة على النبي المختار) وهو صاحب ورد "سبحان الدائم لا يزول" الذي جعله مع ورد الفلاح الشيخ محمد بن عيسى وردا لجماعته وإلى الجزولي تنسب الطريقة الجزولية .
- راجع تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان، ص 363.
- وعن الجزولية انظر ما كتبه :
- Les Confreries Religieuses  
Depont Cppolani  
Musulmanes P 455
- 16- ابن خلدون : المقدمة، ص 875 .
- 17- كور : استقرار دول الشرفاء في مراكش، ص 11
- 18- راجع : Monchicourt في "المجلة التونسية" رقم 11-12، ص 315 .
- علي الشابي : عرفة الشابي رائد النضال الوطني، ص 60.
- ألفرد بيل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص 390 - 391 .
- 19- مصطفى حلمي : ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف بمصر، 1971، ص 112.

فيه إلا عند غزو بني هلال، التي أصابت القيروان حيث حلت القبروان وتفرق أهلها على حد تعبير البرزلي وبعد القرن السابع أصبح المسجد يعرف بمسجد محمد العربي وانتشرت مساجد الذكر في إفريقية فتجد مسجدا آخر بالمهدية. واعتبرت تلك المساجد مؤسسات رائدة في مجال الدعوة إلى الزهد ومقاومة الظلم والتفسيخ الخلقي.

راجع المالكي : رياض النفوس، ج 1، ص 156، 183. المقرئبي : الخطوط، ج 2، ص 296

ابن فرحون : الديباج، ص 107. الديباج : معالم الإيمان ج 1، ص 11، ج 2 ص 174.

22- ألفريد بيل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 379.

23- الديباج : معالم الإيمان، ج 4، ص 149، 156، 240.

24- Monchicourt Kairouan

et Les Chabbia P 341

Depon et Coppolani Les

Confreries Religieuses

Muslmanes P 15

25- Asin Palaries Vidas de

Sontones Andaluces 1 Vol in

Mdrid Granada 1938 P 12

نقلا عن ألفريد بيل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 382.

26- ابن خلدون : المقدمة، ج 3، ص 104، 106.

20- المصدر نفسه، ص 347-348

21- عندما نعود إلى المصادر التي ذكرت مساجد الذكر نجدها في غاية الشح وقد ركزت على مسجد السبت بالقيروان وهو من أقدم مساجد الذكر بإفريقية وهو الذي أعطى الطابع المميز لتلك المساجد. ويعتبر عينة تمثل هذا النمط من الاجتماعات الصوفية التي ظهرت في شمال إفريقيا. وظهر جدال عنيف بين الزهاد والفقهاء في شأن وظيفة هذا النوع من المساجد. وكان المجتمع القيرواني يرفض هذا الاتجاه ويحذروا أن الناس كانوا يجلسون حول رجل من كبار الزهاد اسمه مسافر بن سنان وهو من رجال القرن الثاني للهجرة حضر مجلسه بالهولاء بين الزهاد الثوفي سنة 182 هـ وهذه النكبة قد تكون وردت من المقرئبي، الخطوط، ص 240. مساجد للذكر مثل مسجد القرافة بمصر الذي قاوم اتباعه أكثر قضاة مصر الحارث بن مسكين. وهذه المقاومة لم تنل الناس عن الإقبال على هذا النوع من المساجد فقد توافد عليها الزهاد وقد يكون مسجد السبت بالقيروان نتيجة لأثر مشرقي مصري على المجتمع الإفريقي. ومؤسس هذا المسجد هو محمد الأنصاري الدمني وهو رجل عرف بالصلاح والزهد وكان مستجاب الدعاء، وعد من الأولياء الخمسة عشر من أولياء القيروان وخافته السلطة الأغلبية، وحاول الأمراء التقرب منه. ولم تتوقف مجالس الذكر

## رحلة السندباد المعنى: البحث عن نشوة اليقين دراسة في رواية "الشحاذ" لنجيب محفوظ

بقلم : المهادي العثماني

أيها القارئ، وأنت تقتفي آثار هذا "الشحاذ" الملهوف من خلال مطالعتك للرواية، لا يسعك إلا أن تلازمه بفكرك وعاطفتك وخيالك طوال الرحلة الطريفة الغريبة الخطرة... فليس لك منه مناص ولا بد له من أن يسيطر عليك سيطرة يكون إليك أقرب من همس الصمير... فكُن كما شئت له كارها، وعليه ناقما، وإياه متهما، فلن يزيدك ذلك إلا قربا منه وفهما له، وهذا التناقض الغريب الذي خلقه فيك، وأنت بين ساخط عليه ساعر منه، ومشفق عاطف تتلمس له الأعذار في كل ما يمارسه من شذوذ عن الطريق السوي ولكن أي طريق هذا الذي رسمه المجتمع والدين والأخلاق دون أن يكون لأي منا نحن البشر حرية اختيار السير فيه، وقد

دفعنا إليه بأسباب مخلفات ثقيلة، وموروث ماض مترهل حملناه كبعض متاعنا قبل أن نبدأ الرحلة، رحلتنا في البحث عن نشوة اليقين وكلنا في ذلك "سندباد معنى" <sup>1</sup> الشحاذون فئة غريبة عن المجتمع القوي، أعوزتها أسباب الحياة السعيدة وألن الفقر - إلا أن يسقيها كأس العذاب حتى الثمالة، فحرمها دعائم التوازن الغذائي، فافتقرت إلى أقصى حد أدنى في مستوى العيش وأصبحت بالانحدار إلى مهاوي الحضيض فعاشت بذلك حياتها نجبا للقلق والجوع في ظروف مأساوية يلوغها الكفاف فغدت وصمة سوداء في جبين المجتمع. <sup>2</sup>

وشحاذ الشارع رجل مغبون، حقير، جائع، يتسول متوسلا ويتوسل متسولا، يعضه الفقر فيعذبه - إنه يطلب مايعوزه : "الغذاء" المادة، وهي



فإن شحاذنا هذا شخص مريض تنعق  
غريان عقله حيرة وتعوي بنات فكره  
وهما وتتهاوى قناعاته الباطنية حين  
تصطدم بجدران واقع صلب فتصدع  
وتتبخر أمام عينيه القيم زورا  
ويطلانا... ويكرر السؤال ويتضخم :

هل؟! كيف؟! لماذا!؟

وقديما قال عبد الرحمان بن  
خلدون : رحمه الله : "الجوع  
والعطش أصناف ومراتب أذناها  
الجوع إلى الخبز والعطش إلى الماء،  
وأسمها الجوع إلى العلم الذي لا  
جوع بعده، والعطش إلى المعرفة التي  
ينتهي دوها كل عطش".

وانطلاقا من اختيار نجيب محفوظ  
لعنوان الرواية، يجلب الانتباه ما  
تنطوي عليه كلمة "الشحاذ" من  
قضايا مركبة متداخلة قسمية، الأثر  
تركب من حروف مختارة كل حرف  
منها يمكن أن يكون رمزا لمأساة إنسان  
مقهور وإيماء بالجهاد في عضم الأزمة  
المتولدة عن شك وحيرة تولد عنها  
أدمان وذعر :

أوجل متطلبات الحياة، وهو يبحث  
عما يفتقده جريا وراء لقمة العيش،  
يعذبه الطوى ومأساته فراغ جوفه،  
فليس له من هم سوى ملء هذا  
الفراغ الذي يهدده بالمرض والموت  
والفناء..

أما شحاذ نجيب محفوظ، فهو من  
نوع آخر : إنه رجل مغبون، يطلب  
ما يعوزه "الغذاء"، ولكن من نوع  
آخر : إنه الغذاء الفكري والروحي،  
فهو يعيش في قلق، مأساته الفراغ،  
ولكن ليس فراغ جوفه، بل هو فراغ  
أهم، فراغ مقلق عظيم وعميت، إنه  
الفراغ الفكري والروحي، فما أشده

من جوع ! إنه الجوع إلى الحرية  
والانعتاق من قيود المادة وعبودية  
الزمان والمكان، فإذا كان الشحاذ  
الحقيقي يشتري خبزه بحريته، فإن  
شحاذ نجيب محفوظ يصرخ في قمة  
المأساة، وفي لحظة الإشراق الصوفي :  
"حلوا خبزي أعطوني حريتي"... وإذا  
كان الشحاذ رجلا معذبا ترفرق  
عصافير بطنه جوعا يتداعى له الجسد،

إنها لوحة مجهولة المصور فلعلها تكون بذلك رمزا للغموض والشعور بعدم الطمأنينة تخلق فينا الحيرة والقلق والتساؤل ونحن نلج عالم الرواية المجهول لدينا، ندخل عند البداية مع هذه المقدمة ملتفتين إلى كل جهة متفحصين باحثين عن أدق مؤشر، عن أية علامة تدلنا عن المكان أو الزمان، فلا دليل، بل لعل الكاتب أراد أن يضرب من حولنا. هذا النطاق من الغموض في مناخ موح بعدم الفهم، صورة حقيقة هذا العالم الغامض. رمزا لمفهوم الوجودية العيشية التي سيطرت على الكثير ممن تاهوا في خضم أحداث الحياة الحديثة التي امتازت بالغيار القناعات وتهدم القيم المتداعية...

وتبدو اللوحة صامتة ساكنة رغم ما تزدحم به من عناصر ومقومات... يقول الباركاو : "إن هذا الصمت الأصم للعالم هو العيشية" لوحة صامتة ما يمثل عنصر الحياة فيها طفل، صبي غر يلهو ويعبث بحصان خشبي مزيف،

فالشحاذ بهذا الاعتبار رجل مريض داؤه الشك والحيرة وهو يجاهد إدمانا في الجنس والخمر فيعيش بذلك ذعرا داخلها خطيرا.

ومنذ البداية ينبثق بطل الرواية من خلال اسمه "عمر" أو "ع"، م، "ر" رمزا لعمر الانسان الذي يمثل رحلة البشرية في هذه الحياة الغامضة في مراحلها الثلاث بين ماضى موروث وحاضر مفروض ومستقبل غامض مجهول، بل لعله من خلال توظيف الرمز المتولد عن ترتيب الحروف المركبة لاسمه، صورة مشحونة بالـ عذاب والـ مأساة والـ رعب الداخلي تجاه رعونة الأحداث فالأثر في النص الروائي يبدأ بتقدم صورة تمثل لوحة زيتية تجعلنا نشعر منذ أول وهلة بلون من الغربة والضياغ بخيمان على المكان ويبتلعان كل أثر للطمأنينة عدا ما يوحي به وجود بعض الأبقار من بلاهة، وينح السؤال في لاوعي القارئ..

"أين؟" و "متى؟"

التناقض الصارخ بين ما يريد وبين ما هو كذلك ترددا بين الطموح والواقع، بين المبتغيات والإمكانات فـ "هاهو الطفل ينظر إلى الأفق، وهاهو الأفق ينطبق على الأرض..." إنه الشعور بالقلق الوجداني وإن الحياة سجن الإنسان فيه مسير، ولكن الأبقار في ما رسم المصور تمتلئ بالطمأنينة لأنها بلا عقل، فهل يكون العقل لعنة؟ وهو رمز التفكير والقيمة العليا لإنسانية الإنسان.

إن الأبقار بلا تفكير فهي الرضى بالواقع والاستسلام والإقناع وهو ما يفتقده البطل، وهو ما يطلبه، بغية تدفعه إلى أن يسأل ويتساءل ويتوسل ويشحذ جريا وراء طلب الحقيقة التي لا يفوز بها بالرغم مما بذل من جهد وعناء، ويبقى الشك والحيرة والغموض والقلق والخوف ألوانا طاغية على مختلف مراحل الأحداث. لقد وصل الكاتب بيننا وبين البطل في ظروف غامضة، غريبة ودون تقدم في ارجحالية، فإذا نحن نتعرف عليه

كما أن الإنسان الكهل في هذا العالم طفل بكل ما في الكلمة من معنى الجهل والغرور والرعونة والخوف من المأساة المبطنة داخل اللامبالاة في إقباله على الحياة دون فهم وانكباب على الملذات واخذ الأمور بظواهرها وعجز وقصور عن الفهم حين يطلب منه الفهم... إنها لوحة مشحونة بلاحياءات والصور والرموز و "لا علامة تدل على وطن من الأوطان" مما يخلق شعورا حادا بالضياح والغربة

وإحساسا بالوحدة. فليس في حجرة الانتظار سوى البطل الذي يقدمه لنا محفوظ بضمير الغائب لأنه في بداية القصة ما يزال نكرة مجهولا لدينا، وهو في الانتظار، ولا يخفى ما يستشف من الانتظار من قلق وخوف من المجهول قد يتخلله الأمل والطموح يرتطم بالفشل والإنسان متاع الحدود الزمانية والمكانية، ملتسق بالغراء قعيد تركيبته الجسدية المادية حقيقته الفشل والعجز والمزمنة وهو يسعى إلى تجاوز وضعه البشري الإنساني فيعيش بذلك

الزمن؟".

ويتفجر التناقض بين رأي غيره فيه/ رأي الطبيب المباشر حيث يصفه بالتغير إلى الأحسن -التطور-، ورأيه في نفسه المتمثل في شعوره بالتغير إلى أسوأ - يفضحه التجاؤه إلى الطبيب في كثير من التردد لتشخيص ما يشعر به من بوادر المرض بحثا عن علاج شاف.

إن التناقض يبرز منذ أول وهلة في تركيبة البطل ذاته اختلافا بين الباطن والظاهر، بين الجسم والنفس (بين المادة والروح). فظواهره الصحية والعافية وباطنه القلق والحيرة - إنها

صورة الوجود الغامض وعدم اتضاح الرؤيا مما دعاه إلى استعمال نظارات تشي بما يتصف به من ضعف في البصر، فهو لا يرى العالم إلا من خلال نظارات ذات بلور تلونه أحداث عاشها وتناقضات التقدم العلمي الذي فشل من خلال آلياته الحديثة في الكشف عن العلة وتشخيص الداء الحقيقي. فهذا

هكذا فجأة في قاعة الانتظار في عيادة

طبية : فانتبه أيها القارئ إن البطل مريض جاء يشكو العلة والداء. ولكن أية علة ؟ وأي داء هذان الذان دفعا بعمر إلى استشارة الطبيب وهو في صحة جيدة كما يبدو ذلك من وصف الكاتب لجسمه، وما يظهر عليه من علامات الصحة والعافية وما يصرح به الطبيب إثر الفحص

والتحاليل من خلال قوله : "عزيزي الخامي الكبير: لا شيء البتة" فهل يكون في جواب الطبيب تشخيص للمرض الحقيقي الذي أصاب عمر ؟. ويستغل نجيب محفوظ في تقنية

رائعة علاقة الطبيب بالمريض والمريض بالطبيب، هذا المريض بالذات بهذا الطبيب بالذات، إذ هما زميلا دراسة، ليلعب باتقان وخبرة على عامل الزمن حيث يولج الماضي في الحاضر فتختلط علينا الحدود الزمانية ويكون أول بصيص الأضواء في تفق الأحداث المظلم تعلق البطل بماضيه "تري هل يتذكر رغم مرور ربع قرن من

والارتباط بالجنور الواقعية لهذه الدنيا- بالجنم والذات.

إنه مرض ميتافيزيقي فأنى لمن أصيب به أن يتداوى بمثل ما أشار به الطبيب ؟! فهل "يقضى عليه بأن

يسجن نفسه في عيادات الطب النفسي؟!، ويبدو الحديث حول

المرض في أسلوب أقرب إلى المزاح ثم لا يلبث أن يتحول إلى حوار يتصف

بالجدية والخطورة ويجد التشخيص سبيله إلى الإعلان عن بؤادر أمراض

مختلفة كالشعور بالإحباط والاهيار النفسي والقلق ويصبح "الأمر أخطر

مما تتصور"... إنه حسب استنتاجات الطبيب المرض البورجوازي الناتج عن

فشل المادة الرأسمالية التي أفلحت في الرقي بالحياة المادية للفرد والمجموعة في

تخطي حوافز الروحانيات وهتك حواجز الغيب في عالم الميتافيزيقا-

هكذا يتبلور الموقف. وتتحدد ملامح شحاذنا البورجوازي الذي، ورغم بؤمر

أسباب الرفاهية لديه "لم يعد يهتم

الطبيب المقصود الذي التحا إلى المريض يفاجئنا بعد الفحص والتدقيق والتحليل بقوله "لا شيء البتة" فيعلن بذلك عن فشل المادة في تحقيق التوازن الروحي والمعنوي.

وحين يتولى المريض تشخيص علته بنفسه، يكشف عن مرض خاص في قوله "لا أعتقد أنني مريض بالمعنى

المألوف" فهو إذا مرض نفساني لا يجد له الطبيب من الأدوية غير النصح

بالإجازة في محاولة لتطبيق الازمة والحد من ظاهرة الإرهاق والشعور بالإحباط

ولكن "عمر" لا يقتنع وعدم الافتتاح هو نفسه مرض جديد وهو مأساة

تزيد من تأزم الوضع والرجل يعيش فردية قاتلة رغم ارتباطه الوثيق بالواقع

الصلب. هذا الارتباط هو الذي خلق في نفسه الفزع والقلق من الوجود

وما في الوجود حيث يقول: "وكثيرا ما أضيق بالناس، بالأسرة نفسها

فاقتنعت أن الحال أخطر مما أسكت عليه"...

ذلك هو الشعور بمادية الحياة

ملهوفا ولكن من يستجديه يخلق لديه الإحساس بالفقر أي أنه يفجر فيه منابع المأساة والتي يتضح شيئا فشيئا محورها الأساسي والمتمثل في "فهم الحياة"، ولكن كيف نفهم حياتنا تلك هي المأساة. يقول عمر لطيبه العاجز عن وصف دواء مقنع: "ولكنك تداويني بنوع من الفلسفة. ألم يخطر لك يوما أن نتساءل عن معنى حياتك؟" ومن هنا تبدأ القصة... يقول الطبيب لمريضه: "خذ إجازة واستبدل بعد ذلك متجددا..." إن الإنسان يتجدد ولكن ليهتري ويتاكل ليتجدد، وتلك استمرارية هذا الوجود انطلاقا من الماضي باتجاه المستقبل، وإذا كان الإنسان لا يملك من زمانه إلا الحاضر فإن هذا الحاضر لعين ممقوت. إن الماضي قد أصبح متاع الذكرى والتاريخ وما يزال المستقبل طي الغيب. أما الحاضر فإنه، هذا الإطار الزمني المرفود بإطار مكاني صلب أتعب بطلنا هذا حتى قال بتلقائية: "الحقيقة يا دكتور ما أجمل

بشيء" فإذا هو يتبع طريق الهروب من كل شيء كرد فعل على ما اتصف به حياته سابقا من الاهتمام بكل شيء، والإنسان مهدد طالما هو حي فلا ضمان ولا تأمين حيال الغيب والمجهول، والحياة مشكلة أساسية أما أن نحملها ونتحاوز العناية بها باللامبالاة، وإما أن نفتح لها من أنفسنا باب الاهتمام، ولكن الاهتمام هو أيضا خطر من نوع آخر فلا حل غير الاعتدال وعدم التفریط أو الإفراط في كل شيء، ولكن ما قول المريض في مثل هذه الوصفة النظرية المجانية؟ إن المريض يسقط لها للشعور بالصدمة والانكسار فيطلب دواء أي حلا فلا يملك الطبيب إلا أن يدفع بمريضه إلى التداوي ذاتيا في قوله محاولا اقناعه: "إن الدواء الحقيقي بيدك.." وكأنما الإقناع تمثيل ومهزلة لا تحل القضية. ويبقى الرجل المسكين نهما متداولاً للشك والخوف والقهر والعنى النفسي البغيض. إن البطل الشحاذ يستجدي

كل زمان باستثناء الآن" ... لأنه عجز عن التمتع بالاطمئنان  
 "ثم يتبدد كل شيء بلا معنى" والاستقرار النفسي رغم شهرته وراثته  
 فكرامية الحياة تسبب المأساة الوجودية فأصيب بهاجس البحث عن الحقيقة  
 وشرعيتها ذلك أن "السياسة والاضراب والمدينة الفاضلة" كانت  
 ذات يوم سببا لحب الحياة فالهارت، وفي خضم المأساة البورجوازية التي  
 ناضل ضدها البطل وأصحابه يوم كانوا طلبة ثائرين يعيشون على  
 النظريات وينادون بأطروحة النضال، في ذلك الخضم تومض كشعاع  
 الأمل، الاشتراكية كحل يدي، لمقتنعا بأنها الفضل الفن والحب  
 ويتحقق الحلم فإذا الحياة هي الحلم، والعواطف حرية بأن تعاش، غير أنه ما  
 فأين الحقيقة إذن؟! وهكذا تدرج لبث أن اكتشف أن الوجود على غير  
 الرواية في صنف الأدب الذهني الذي ما يرام وأن الحياة تُحارب فاشلة  
 تلونت به مرحلة من مراحل مسيرة وحلول وقتية لا تلبث أن تتداعى أمام  
 يُحيب محفوظ الفنية حيث تجاوز بناء مأساة الحياة وفي خضم عبثية الوجود  
 النص العقدة التقليدية إلى تقديم التي لا تصمد، ذلك هو الماضي الذي  
 أطروحات معاصرة أهم مرتكزاتها لا يرتاح البطل إليه والذي ما انفك  
 التنبؤ بضياح الإنسان المعاصر وتمزقه يثق على جدار الذاكرة بمطارق من  
 الداخلي تجاه تيار الأحداث الصاخبة حديد فلا يتردد أن يعلن: "والحق أنني  
 الذي دفع بالبطل إلى أن يتسول لا أحب الماضي" ويمد له الطبيب حيل  
 النشوة التي ربما غيرت مجرى حياته الأمل في قوله: "فلتعب المستقبل"

القلق الكبير وهي المسؤولة بما أنت به من وسائل هدم القناعات الكلاسيكية عن ذلك الملل والسأم الوجودي العام الذي ما ينفك ينهش منه الروح والفكر والإيمان فيعلن الزمن إذ هو يقبل على رحلة غامضة حائرا بين الحب والضجر لـ يحدث نفسه بعد بطريقة شافية، غير أنه في لحظة من لحظات يقظة الضمير يؤنبه الضمير فيجانب نفسه قائلا "أحترق بلهب الخطر" ولكنه لم يعترف رغم الأحوال لم يعترف. وذاب في الظلمات كأن لم يكن وأنت تتجوز من الترف... هذا المرض من الترف هو الذي أوصله إلى عيادة الدكتور الذي اقترح عليه ريجيما غذائيا، وما الريجيم الغذائي في الحقيقة إلا رمز لريجيم فكري.

يتبع

ليفتح له باب التفاؤل ولكن هل يكفي؟ ثم وفي إشارة إلى أن الإنسان لا يجد الحل عند غيره فلا بد له إذن من التعويل على نفسه من الآن فصاعدا - أنت أنت الطبيب - ولكن هل يكفي أن نشجع المريض ليتجاوز مرضه؟. (ولمة أسئلة بلا جواب فأين طبيها).

... إنه شحاذ معاصر بورجوازي يركب سيارة من أعلى طراز ويعيش مخرج الحضارة في النوادي والعلب الليلية، ولكنه مع كل ذلك يبقى شاعرا بحاجة ملحة إلى شيء يطفئه فيطلبه، ينشده يبحث عنه يستحدي للحصول عليه، ولكن بدون جدوى، ويبقى غريبا في موطنه بين أهله وأصدقائه - وما أمر الغربة في الوطن... حتى الزوجة لم تغلح في طمأننة شخصيته المهزوزة لأن الزوجة في بعض الفلسفات رمز للحياة البورجوازية التي يراها من أسباب



## من وهي الاحتفال باليوم العالمي للمسرح



### خواطر حول مسيرة النشاط

المسرحي بمدينة سليانة

2003 - 1953

إعداد: حمادي العكرمي

رئيس جمعية مسرح "الشمس" بسليانة

دأبت منذ مطلع الستينات الأسرة الثقافية العالمية عموما والأسرة المسرحية بالخصوص على الاحتفال سنويا باليوم العالمي للمسرح إذ تعد هذه الاحتفالات ترميما لهذا الفن واعترافا بنبل رسالته في إثارة السبيل للباحثين على درب التأسيس لفضاء بشري تتعايش فيه كل الألوان وتحادل فيه كل اللغات وتسوده قيم العدل والحرية والتسامح. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

وانطلاقا من موقعنا كجمعية مسرحية نحاول أن نواكب هذه الاحتفالات ونلدو بدلونا مرة كل سنة لدعم هذه التظاهرة وتكريس أبعادها إيمانا منا بمزايا الفن المسرحي وبخلود مثله وقيمه الحضارية.

فماهي الدواعي والأسباب التي كانت وراء إقرار الاحتفال باليوم العالمي للمسرح ؟

في سنة 1948، وبمبادرة من اليونسكو ومن مجموعة مرموقة من الشخصيات المسرحية آنذاك أحدثت المؤسسة العالمية للمسرح ( Institut International du Théâtre ) وهي أهم منظمة عالمية غير حكومية تعنى بالفنون الركحية ولها علاقات تشاور وتعاون معتبرة مع اليونسكو. وتهدف هذه المؤسسة الى تكريس العديد من الأهداف والغايات لعل أهمها :

- 1- تشجيع المبادرات العالمية في مجال المعرفة وممارسة الفنون الركحية.
  - 2- تنشيط الانتاج المسرحي وتوسيع مجالات التعاون بين المهتمين به.
  - 3- تحسيس الرأي العام العالمي لضرورة اعتبار ان الإنتاج الفني له مكانته في المنظومة التنموية للمجموعات.
  - 4- تعميق التفاهم والتواصل بين الشعوب بما يكفل إرساء السلام والاخوة بينها.
  - 5- المساهمة في الدفاع على من . أهداف اليونسكو.
- عرفت هذه المؤسسة بنشاطها المسرحي الدؤوب حيث كانت على امتداد سنوات عديدة المنشط الرئيسي للمؤسسة المسرحية العالمية وراعتها فهي التي نظمت لمسرح Sarah Bernhardt موسام المسرحية التي كانت تستقطب أعمال و انتاجات أشهر الفرق المسرحية على الساحة العالمية كمجموعة برلين Berliner Ensemble بالإضافة الى تكفل هذه المؤسسة بتنظيم العديد من التربصات التكوينية في الفنون المسرحية استعادت منها معظم الطاقات المسرحية بمختلف بلدان العالم كما استطاعت هذه المؤسسة أيضا مساندة بعث عديد المراكز الوطنية للمسرح ببعض عواصم العالم . ملت الدورية الفكرية والإخبارية التي تنتجها هذه المؤسسة بعنوان " المسرح في العالم " راية المسرحيين العالميين والقناة الحاملة لآرائهم وتجاربهم الإبداعية وخلق "توصل بينهم.
- في سنة 1961، ومدينة Vienne بالمسا ومناسبة المؤتمر التاسع للمؤسسة العالمية للمسرح ومبادرة من Arvi Kivimaa باسم المركز الوطني للمسرح بفنلندا، تم اقتراح تنظيم وتخصيص يوم عالمي للمسرح وقد لاقى هذا المقترح التحاوب السريع من طرف المؤتمرين آنذاك والتبني الواسع من طرف المسرحيين بمختلف أرجاء المعمورة لتتطلق بعد ذلك الاحتفالات بهذا اليوم ابتداء من 27 مارس 1962 وهو التاريخ المقابل لانطلاق فعاليات الموسم المسرحي بقصر

مسرح الأمم بباريس. حيث أصبح منذ ذلك التاريخ، الاحتفال باليوم العالمي للمسرح تقليد ثقافي عالمي له صداه.

إن من حق كل المسرحيين التونسيين اليوم أن يرفعوا رايات الفرح والابتهاج وأن يشددوا على الاحتفال كما ينبغي باليوم العالمي للمسرح لا سيما في ظل المكتسبات والإنجازات التي حققها قطاع المسرح ببلادنا والتي بوعته مكانة ريادية ضمن سياق المسرح العربي بكل مظهراته (نصا وإخراجا وتمثيلا).

### 1- حول مسيرة النشاط المسرحي بمدينة سليانة :

تشكلت بالبلاد التونسية منذ استفراد الاستعمار الفرنسي بالحكم بها العديد من التنظيمات والتشكيلات الجماهيرية ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والنقابي، وعلى العكس من عناوينها وظاهرها فهذه التشكيلات وهذه التنظيمات إنما كانت لها مهمة ووظيفة مركزية واحدة ألا وهي مؤازرة ومساعدة الحركة الوطنية من أجل إنجاز عملية التحرر الوطني، حيث أوكلت لنفسها في هذا الباب عديد المهام منها :

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

- توعية الجماهير التونسية بنبل مقاصد الحركة الوطنية وبمشروعها التحرري الوطني وما يتطلبه هذا المشروع من تعبئة جماهيرية ورصد لكل الطاقات.

- تخريض الجماهير على الاغتراف في الجهود اليومية لمقاومة الاستعمار

- تكفل هذه التشكيلات وهذه التنظيمات بالمساهمة في تزويد الحركة

التحريرية بعدد من العناصر الشبابية والقيادات السياسية والمثقفين الذين

كان لهم الأثر الطيب في الارتقاء بنوعية الأداء العام للحركة التحريرية.

بسليانة منذ كان نشاط هذه التشكيلات وهذه التنظيمات يتعاضد ويكبر

تفاعلا مع أداء الاستعمار الفرنسي فحين تصعد السلط الفرنسية في فترة

معينة وفي مكان محدد تكون ردة الفعل لهذه التشكيلات والتنظيمات في حجم

ذلك التصعيد . وهذا ما حدث تقريبا في جهة سليانة في فترة منتصف الخمسينات حيث شهدت المنطقة آن ذاك ميلاد العديد من التنظيمات والتجمعات والفرق والتي كانت كلها تتقد نشاطا وحماسا وكان من بينها فرقة مسرحية تنشط بمدينة سليانة. وسعيا لرصد أهم إنجازات مسيرة النشاط المسرحي تشكل هذه الفرقة يمكن القول بان هذه المسيرة عرفت ثلاثة مراحل هامة:

### \* الفترة الأولى 1953-1959 :

تعود أولى بوادر النشاط المسرحي بجهة سليانة الى سنة 1953 وهي سنة غير عادية في تاريخ الجهة حيث تأتي سنة بعد تاريخ اندلاع الثورة المسلحة (جانفي 1952) وسنة قبل موعد معركة الواقع ساعة الأخير والمعروفة بمعركة جبل برفو (نوفمبر 1954) ففي هذه السنة 1953 التقت مجموعة من المتحمسين للمسألة الوطنية من شباب مدينة سليانة وأقروا تنظيم أنفسهم في شكل فرقة مسرحية كان لها عمل مسرحي معلوم وليلها تحركات نضالية وطنية سرية على أرضية سماءها الحماس المتقد والعطاء اللامحدود لنشطاء هذه الفرقة الذين سرعان ما أنتجوا أول عملا مسرحيا يتجاوب مع ما أسلفنا من أهداف عنوانه " برج البوف" وهي مسرحية وطنية غنائية تتمن أهمية وألوية التضحية في سبيل الوطن ليتواصل العمل ضمن هذا التمشي إذ أخرجت مسرحية ثانية سنة 1954 وعنوانها (برق الليل). وهي أيضا مسرحية وطنية أهدى نصها من طرف مكتب الشبيبة الدستورية بتونس الى مكتب الشبيبة الدستورية بسليانة. وقد قام بتمثيل هاتين المسرحيتين ثلة من أبناء المدينة الوطنيين الذين كانت لهم علاوة على التمثيل والمسرح مسؤوليات إدارية ومنظماتية ومهنية أخرى نذكر من ضمنهم :

عبد الحميد الصويعي — كان كاتب عام للجمعية الدستورية بسليانة —

فرحاني التكيكي - كان رئيس لمكتب البريد -

محمد الوصيف الحسني - كان كاتباً عاماً للاتحاد المحلي للشغل -

عميرة الطنوبي - كان كاتباً بدار القضاء -

أحمد المجازي - كان مديراً لفرع بنك -

محمد مرابط - فلاح - عروسي الطنوبي

ابراهيم معروف - بناء - ابراهيم الدهماني بالشاهد، مرزوق الحسني وغيرهم... مثل استقلال البلاد سنة 1955 الحدث البارز في حياة متساكني مدينة سليانة شأنهم شأن كل الجماهير في البلاد حيث رصدت كل الوسائل ووجهت كل الأنشطة للاحتفال بهذا الحدث الرمز وتعهده بما يستحق من انصراف واجتهاد لخدمة المسائل ذات البعد التنموي وانعكس هذا على مسيرة كل التشكيلات والتنظيمات الثقافية حيث عرف في هذا الصدد النشاط الثقافي عموماً والنشاط المسرحي بالخصوص ببلدية سليانة تراجعاً نسبياً على خلفية ان الاهتمام أصبح مركزاً على بعض القطاعات الحياتية الأخرى كالشغل والتعليم والصحة كما أسلفنا.

في سنة 1959 تكونت بمدينة سليانة جمعية ثقافية تدعى "جمعية الإخاء للتمثيل والموسيقى بسليانة":

كيف تكونت هذه الجمعية ؟

ماذا أنتجت هذه الجمعية ؟

أما عن تكوين الجمعية فتأتي في الحقيقة استجابة لحادثة اجتماعية محلية بسيطة "حفلة زفاف المدعو الهذيلي الفجي". تحمس على إثرها المرحوم "مختار بن عيسى" مؤسس ورئيس الجمعية المذكورة رفقة بعض أصدقائه كالمرحوم عميرة الطنوبي والمرحوم جيب الطنوبي والمرحوم أحمد المجازي وغيرهم لتكوين هذه الجمعية وكانت بفرع للموسيقى وآخر للمسرح. وقد تمكن هذا اللفيف المبارك

من أصحاب الوازع الوطني العالي والذين سجلوا بأحرف من ذهب ريادتهم في التعاطي مع طلائع مكونات المجتمع المدني بالمنطقة وقتها. إذ تمكنوا بقيادة رئيسهم الحازم وفي ظرف زمني قصير من خلق الظروف الملائمة و الأرضية اللازمة للثبات مكتنات الجمعية المحدثه من وسائل النشاط و الإنتاج المسرحي كما توصلت هذه المجموعة النشيطة من ربط جسور التعاون مع وجوه مسرحية تونسية بارزة آنذاك مثل أحمد بوليمان الذي انتقل من تونس الى سليانة وأشرف على تأطير وإنتاج المسرحية الأولى للجمعية الفتية وعنوانها "طاح في البير وطلعوه" وكان ذلك سنة 1959. وشارك فيها الى جانب المذكور عبد الحميد باشا ومحمد صالح السمراي وعبد الحميد بن حسونة ومبارك العبيدي وعبد المجيد الصغير و الحبيب بو ديبوس و محمد الهادي بالأحول بعض العناصر النسائية الشجاعة التي أثبتت أن تساهم هي أيضا في هذا النشاط الثقافي على غرار: لطيفة الرزقي حليمة قلدور و بنت لتيمة وعزيزة بدر وغيرهن. وتم عرض هذه المسرحية بالعديد من مناطق الجمهورية. وفي الوقت الذي بدأت فيه الجمعية للتخضير لعمل مسرحي كبير ثابى جاءت الموت لتأخذ الرئيس المرحوم سنة 1961.



مثلت هذه الوفاة ضربة قاسية للجمعية الفتية وللناشطين بها إذ تراجع النشاط وتقلص الحماس ودخلت المجموعة في فترة سكون.

#### \* الفترة الثانية : 1961-1969 :

تعطل النشاط المسرحي لم يعمر طويلا حيث تمكنت بعض عناصر من

النواة الأولى من الناشطين في الجمعية من الالتقاء بمجموعة جديدة أخرى تنتمي وقتها هيكل حزبي يسمى نادي الشباب وكان ذلك سنة 1962 ويترأسه السيد محمد الطاهر العطياوي ويضم في صفوفه لفييف من التلامذة والطلبة: صالح البوراوي، يونس الصويغي، صالح بن ضية، عبد المجيد البوراوي، علي بدر محمد بدر، عز الدين باشا، بشيرة ساسي، حبيبة صالح، خديجة بوحوش، حسن الرفيعي، خديجة المليتي، محمد الربيعي، عبد الستار الشرماتي، محمد الساهل، عبد المجيد الكاري، عبد القادر البوراوي.

حيث أسفر هذا الالتقاء على تشكل فرقة مسرحية جديدة أنتجت من سنة 1962 إلى سنة 1965 أكثر من خمس مسرحيات وهي على التوالي :

- قاضي الغرام
- طاح في البير وطلعه - إعادة لإنتاج الجمعية -
- نهاية طاغية
- سيدي الأخضر
- مراد الثالث

وتدعمت هذه المجموعة سنة 1965 بالتحاق عديد العناصر الأخرى الهاوية للمسرح كإبراهيم مالك ونصر الهمامي وعلي الخلصي وعبد الجواد بن عبد المجيد وعمار الزربي العوني ومحرز بو علي وهم من أفراد مجموعة كانت تنشط تحت رعاية المرحوم مختار عبد الجواد.

تواصل النشاط المسرحي حيثما لهذه المجموعة إلى سنة 1969 سنة تكوين الفرقة القارة للتمثيل بالكاف "جانفي 1969" هذه الفرقة التي سيطرت بعد ذلك على المشهد المسرحي بالجهة علما وأن مدينة سليانة تتبع إداريا ولاية الكاف وقتها. ولكن هذا لم يجد من شغف المولعين بالمسرح بمدينة سليانة الذين وصلوا اهتمامهم وممارستهم لهذا الفن مركزين هذه المرة على النشاط المسرحي الموجه

للطفولة والذي كان وقتها دربا من دروب الإبداع والإنتاج المسرحي الغير مألوف إذ تمكنوا بداية من سنة 1970 من إنتاج مسرحيات للأطفال تحت راية مكتب الشبيبة الدستورية وفرع الكشفة بسليانة هذه المرة وهي مسرحيات :

- الجنية
- أبو بطة
- أبي عنان
- بنت السلطان

### \* الفترة الثالثة : ابتداء من 1976 :

بحلول جوان 1974 أصبحت مدينة سليانة منذ ذلك التاريخ عاصمة لولاية تربية جديدة استفادت بعدها بسنة بخدمات هيكل ثقافي جهوي " المندوبية الجهوية للثقافة " وكان لوجود هذا الهيكل الأثر الطيب في إحياء النشاط الثقافي بالمدينة ولاسيما النشاط المسرحي حيث بعثت سنة 1976 مجموعة مسرحية تتكون من عشرين شاب تقريبا من مختلف الأوساط الاجتماعية " الحرفي - المعلم - الطالب - التلميذ - الموظف... " وبدأت تنشط كننادي مسرح بدار الثقافة بسليانة تحت إشراف الأستاذ محمد المديوني قبل أن يلتحق به الأستاذ نور الدين الورغي ليشترك ويدعم عمل هذه المجموعة التي تمكنت في وقت قصير من إنجاز ثلاثة أعمال مسرحية:

" الأولى: " أغنية لم يلحنها ميكيس تيودوراكيس " وهي مسرحية في شكل لوحات تعبير جسماني على موسيقى اليوناني ميكيس تيودوراكيس وعلى مختارات من قصائد الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ولقد أريد لهذه المسرحية ان تكون تعبيرا على التضامن مع الشعب الفلسطيني الشقيق وتثميناً لنضالات وتضحيات أبنائه.

" الثانية: " سهم كاغظ " وهي مسرحية مستوحاة من حادثة اجتماعية بسيطة



عرفتها إحدى مناطق البلاد فسي منتصف السبعينات و قد لاقت هذه المسرحية نجاحا باهرا مكنها من



الظهور على ركح المسرح البلدي بتونس العاصمة وكذا على ركح اهم المدن والمهرجانات التونسية الى جانب ابرز وأكبر الفرق المسرحية الشترفة وقتها.  
\* الفالقة : " المخلطة مخلطة " وهي محاولة إبداعية مسرحية كانت تريد رصد ومعرفة اهم الطيارات الفكرية والإيديولوجية التي كانت تلتشق المجتمع التونسي في مطلع السبعينات.

وكانت كل هذه الأعمال من إنجاز وتمثيل عناصر المجموعة التي ضمت وقتها: حمادي العكرمي - عبد الستار التابعي - سعيد الزكراوي - محمد الطاهر السلامي - المكّي المحمدي - عفيف الزكراوي - محمد بن عبد الله المغربي - المنحي العيفي - محمد العياري - الشادلي بالرويهم - حسان الجايز - حوسين الحسيني - الحبيب الخميري - ثميم بن عبدة الزريبي - علحية القاسمي - ليلي العكرمي وغيرهم.

قد لاقت مختلف هذه الأعمال نجاحا فنيا كبيرا دعم مكانة قطاع المسرح بالمدينة في تلك الفترة، حيث حصدت هذه الأعمال العديد من الجوائز الوطنية. على غرار جائزة أحسن نص وأحسن إخراج وأحسن تمثيل (جائزة أحسن ممثل

حمادي العكرمي، جائزة التمثيل الثانية حبيب الحميري) حة "المحطة محطة  
"مهرجان قرية 1978.

وجابت كل هذه العروض البلاد التونسية من شمالها جنوبها ومن  
شرقها الى غربها أين كانت دائما محل متابعة مكثفة من قبل الجماهير والمثقفين  
والمرشحين الذين غالبا ما عبروا عن استحسانهم لأعمالها علاوة على حض  
هذه الفرقة التي أصبحت منذ 1978 جمعية مسرحية تعرف بـ "التجمع  
بلسانية" مختلف المهرجانات المسرحية الوطنية "قرية-سيدي ذويت باد  
صفاقس- أسبوع المسرح..." بالإضافة إلى تكفلها بتمثيل المسرح  
التونسي في ملتقى عالمي للمسرح "باريس 1980" أين قدمت مسرحية  
حدة" في تماسة عروض توزعت على عديد المناطق الفرنسية.

في منتصف الثمانينات انخرطت إلى جانب بعض العناصر القديمة  
... كأعمال محمد الطاهر السلامي -عفيف الزكراوي- حسان الجابر  
... وجوها أخرى جديدة أثبتت اهتمامها وشغفها بالعمل المسرحي من  
... فوزي العبيدي، رشيد الخروبي، لطفي اليوسفي، الناصر العماري،  
زكرياء وآخرون. وعملت هذه المجموعة جاهدة وبذلت كل ما في  
... لاقاء على الصورة الناصعة والتميزة التي اكتسبتها الجمعية في بدايتها و  
... في هذا الصدد مسرحيات مثل "جراجيف" و"السبتة"...

وككل الأعمال الجماعية دبت بين المجموعة الناشطة بعض الاختلافات  
في الرؤى الفنية والمقاربات المسرحية مما عجل بتشكيل مجموعة جديدة في مطلع  
التسعينات تعرف بجمعية "مسرح الشمس" وهي في الحقيقة تطور طبيعي لنشاط  
ناد مسرحي بدار الثقافة بلسانية ضم فريقا من الناشطين مثل: رضا العبيدي،  
عماد الهدباوي، عادل الماجري، سلوى الفرجاوي، كمال السمراي، شاك  
الزكرياء وغيرهم. مار هذا النادي بإغنازه العديد من العروض المتميزة مكنته

من استقطاب اهتمام المولعين بالفعل المسرحي الذين سارعوا بالإحاطة به ورعايته فتم تنظيمه في شكل جمعية مسرحية تدعى (جمعية مسرح الشمس بسليانة) والتي ترأسها في البداية الأستاذ حسونة بن مسعود المديوني وهي الآن بصدد العمل والإنتاج المسرحي حيث أنتجت منذ 1996 أعمال مسرحية مؤثرة مثل : "سلطان الفريسة" و"حديث الأربعاء" و"غابة الأحلام" (مسرحية للأطفال).

إن هذه الشهادة الموجزة حول مسيرة النشاط المسرحي بمدينة سليانة قد تفضي بطبيعتها إلى التساؤل التالي :

ماذا عن آثار هذه المسيرة المسرحية ومدى تأثيرها في واقع القطاع المسرحي

بمدينة سليانة؟

تتحلى اهم النتائج المباشرة لمكتسبات ونحارب وإنجازات المسيرة المسرحية في العقود الخمسة الماضية بمدينة سليانة في :

- بروز وعي كبير لدى شباب ومهتمين المدينة بأهمية الفن المسرحي ومكانته في المشهد الثقافي بالمدينة توارثته الأجيال عن بعضها البعض وهو ما يفسر تواصل تشكل الجمعيات وإنتاج الأعمال المسرحية الى الآن على الرغم من تراجعها في بعض الفترات.

- قدرة المدينة على استيعاب واحتضان العروض المسرحية الكبرى وريادتها في تنظيم الملتقيات والورشات المسرحية الوطنية الأولى (ورشة مسرح الأطفال بإشراف العرائسي المرحوم رشاد المناعي) وتستمد هذه القدرة من شغف واهتمام المثقفين والشباب بما بالنشاط المسرحي على الرغم من ضعف الإمكانيات وانعدام الفضاءات وقتها (عرض مسرحية "التحقيق" لفرقة المسرح الجديد بتونس وإعادة عرضها أمام 400 امرأة).

- تشكل ذوق مسرحي جماعي ساهم في جعل مدينة سليانة قبلة الأعمال المسرحية الرائدة على الساحة الوطنية آنذاك.

- تأثر بعض المتابعين للنشاط المسرحي بالمدينة واختيارهم الالتحاق بالمعهد العالي للفن المسرحي منذ افتتاحه سنة 1982 مثل أستاذ الفن المسرحي حبيب التاغوتي وأستاذة الفن المسرحي منيرة الزكراوي.
- استمرار تواجد هيكل مسرحي بالمدينة يعني باحتضان وتأطير الأنشطة المسرحية وبتعهد الإنتاج المسرحي في قطاع الهواية.
- في الختام أود أن تجد هذه الشهادة المتواضعة لرصد وتسجيل مختلف تجليات مسيرة النشاط المسرحي بمدينة سليانة خلال الخمسة عقود الماضية والتي توارثناها شفويا من الأجيال السابقة مزيد الاهتمام من طرف أهل الاختصاص من أبناء المدينة بما قد يفضي إلى وضع وثيقة تستجيب للشروط العلمية للبحث التاريخي وذلك تلبية للغايات الثلاث اللاحقة.
- تمكين الأجيال القادمة من أبناء المدينة من معرفة وجه من أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي الذي عرفته مدينتهم في فترة تاريخية محددة.
- المساهمة في خدمة الذاكرة الجماعية للمدينة والحفاظ على حياتها متأججة تنسج خيوط التواصل بين الأجيال
- تتمين نشاط وتضحيات كل الذين قدموا وساهموا في مسيرة العمل الاجتماعي والثقافي عامة والمسرح بالخصوص بمدينة سليانة والاعتراف لهم بقيمة مما أنجزوا على درب التأسيس لحياة ثقافية نشيطة بالمدينة وتحتهم أحياء كانوا أم أمواتا.

\* ملاحظة : المعلقة لكل من قد يجد نفسه في هذه الشهادة ولم يذكر اسمه

## الرسّام ناجي الثابتي:

### صلتي بالموسيقى والشعر والقصة في اللوحة وطيدة

من هو الرسّام ناجي الثابتي ؟

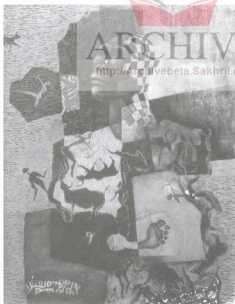
- ناجي الثابتي، أستاذ تربية تشكيلية، متحصّل على دبلوم المعهد التكنولوجي للفنون و الهندسة المعمارية والتعمير بتونس (جوان 86)، اختصاص حفر

(Gravure) وأنا من

مواليد سنة 1961  
بسليانة.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

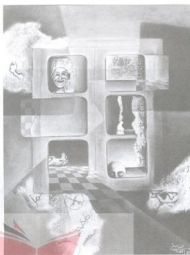
- ساهمت في العديد  
من المعارض الوطنية  
والجهوية منها المعرض  
الستوي للفن التونسي  
المعاصر بقاعة يحي  
(ديسمبر 86)  
ومعرض الجائزة  
الكرى لبلدية تونس،  
نوفمبر 95، بقاعة يحي  
سدورة السابعة



للمهرجان الدولي  
للفنون التشكيلية  
بالمحرس جويلية 94  
وقد أحرزت على  
ميدالية شرفية، بالرواق  
الوطني محراب الفنون  
التشكيلية الذي يديره  
الرسام علي عيسى.

- في إنجازاتي الفنية  
غالبًا ما اعتمد المزاوجة  
بين مجموعة من

التقنيات خاصة منها:  
الرسم المائي، الرسم  
الزيتي و تقنية الحفر،  
ويتحدّد الاختيار  
حسب الإحساس  
والموضوع بحيث  
يلتصق الموضوع  
بالتقنية... وأنا أطمح  
دائمًا إلى أن تساهم  
التقنية في إكساب  
الموضوع شحنة تعبيرية  
متميزة تحرك وجدان



المتلقي..

- صحيح أنني  
تفصّصت في فنّ الحفر  
وأنني مسكون به  
ومأخوذ بسحره لما  
يوفره من ثراء تشكيلي  
وتأثيرات عظيمة ولونية  
قلما وفرتها تقنيات  
أخرى إلا أنني في  
المقابل أحد حواجز  
عديدة تمنعني من  
إشباع رغبتني في  
ممارسة هذه التقنية.  
فالحفر سواء على  
الخشب أو الزنك أو  
الرصاص يتطلب  
الكثير من الصبر  
والتضحية والمعاناة  
ويعجزّ تجاوزي لكل



الحواجز وخاصة عدم امتلاك آلة طباعة (Presse) سألتصق أكثر بفنّ الحفر.  
- صليتي وطيدة ببقية الفنون وخاصة الموسيقى والشعر والقصة وأنا أؤمن أن  
الانحياز في فنّ معين دون الاطلاع على الفنون الأخرى يعود بالسلب على  
الإنتاج الفني.

دقائق مع كاتب



## مع الشاعر: صالح الطرابلسي

مصافحة : مبروك صالح المناعي

الابتدائي وتابع تعليمه الثانوي بأريانة انتدب بعدها معلما بمنطقته إلى اليوم حيث أصبح مديرا للمدرسة الأساسية بالعلاقة. وهو متزوج وله أبناء.

ومن لا يعرف منطقة مرقاق فإنما حنة على وجه الأرض، يقابلها شرقا جبل وهران وجنوبا جبل الرصاص وهي فلاحية يتوفر فيها الماء العذب

علوبة ماء زغوان، وبها غابات وروابي وأودية وبساتين كثيرة ذات غلال عديدة وحقول حبوب ممتدة وهي مركز معتمدة تابعة لولاية بن عروس.

شبه هنالك صالح الطرابلسي فعشق الطبيعة وولع باللغة من خلال نصوص القراءة في تعليمه الابتدائي فبرع في مادة الإنشاء لدى معلمه

هواة في الدورة الأولى للملتقى الجهوي الأدب بمزل عبد الرحمان أيام 6-7-8 جويلية 1990 تعرفت إلى الشاعر صالح الطرابلسي، أعجبت بقصائده شكلا ومضمونا مع إلقائه

الجيد في صوت اجهوري وإيقاع جذاب. تساءلنا فتعارفنا وعلمنا أنه ابن مرقاق.

وتجدد لقاءنا في قلبية وفي حي الزهور فأصبحنا صديقين وصرت أتابع كتاباته في الصحف وفي المجلات من شعر ومقالات أدبية وتغطيات لتظاهرات ثقافية. والتقىنا عدة مرات في نادي الشعر باتحاد الكتاب التونسيين.

ولسد صالح الطرابلسي مرقاق في 8 جوان 1948 حيث درس التعليم



الذي رغبه في المطالعة وشجعه على  
محاولاته في الكتابة. وفي التعليم  
الثانوي تألق في مادة الإنشاء إذ صار  
يطالع في بداية الستينات الصحف  
اليومية ثم الأسبوعية. ووظب على  
مطالعة الملاحق الأدبية والثقافية  
وانبرى يحرر محاولاته الأولى في الشعر  
وفي النثر. لكنه لم يتسرع في النشر إذ  
ظهرت كتاباته متأخرة نسبيا على  
أعمدة الصحف. وبدأ يحضر جلسات  
النوادي والمنتديات فشارك في أول  
ملتقيات للصحف، ثم في الملتقيات  
الأدبية والمهرجانات الثقافية.  
نال الجائزة الأولى في الشعر في  
المسابقة الثقافية التي نظمتها جريدة  
الأخبار بالاشتراك مع دار الثقافة  
الشاذلي خزندار بحلق الوادي يومي  
4 و 5 جويلية سنة 1984.

وواصل مسيرته بين رسالي المربي  
والكاتب فشغف بالمطالعة وولع  
بالكتابة بعد أن افتتن بالطبيعة فانخرط  
في الأسلوب الرومنسي متأثرا بما طالع  
للشابي ونعيمة وجبران والسياب ثم

أعجب بمحمود درويش.  
في العطلة الصيفية سنة 1994  
التقيته في ساحة برشلونة بالعاصمة  
فتعانقنا ثم جلسنا بأحد المقاهي حيث  
رفع في وجهي مفاجأة "للفرح  
الضامى" مجموعة شعرية، باكورة  
إنتاجه الأدبي فأهديني تلك النسخة  
وحفرتي لنشر مجموعتي القصصية التي  
ظهرت بعنوان "دقائق" سنة 1995  
بمساعديته.

ومن ملازمته لتلاميذه الأطفال أهم  
الكتابة لهم فحادث قريحته بإحدى  
عشرة قصيدة للأطفال نشر منها  
بالملاحق الثقافي للحرية وبقطاف  
الإتحاف ولحن له منها زميله المدرس  
حمزة علي حمزة بعض القصائد.

سألته عن رأيه في الشعر فنأولني  
قصاصا لومضات نقدية نشرت له في  
إحدى الصحف سنة 1987 عنوانها :  
"الشعر إبحار في مجاهل النفس"  
ورد فيها بالخصوص : الشعر مملكة لا  
سلطان فيها إلا للصورة والكلمة  
والإيقاع... الصورة الشعرية وجه

للوفاق... الكلمة رؤى تحتاز حصون  
المعجمية.. الإيقاع صوت يقتحم  
"فعولن" "مفاعيلن"..  
وسرت رأيه عن معاناة الكاتب  
في عصر العولة فزفر معبرا : يا لها  
من صعوبة للتكيف مع هذا العصر،  
عصر الأرقام والأررار... كم  
أحشى على أحلامنا من هذا  
الزحف.. لم يعد يترك لنا هذا الغول  
محالا للحلم... لسي مشاريع  
كتابة لا تنتهي أحشى أن يلتهمها  
هذا الزمن قبل تحقيقها.. بينما  
صدرت له سنة 1997 مجموعته  
الشعرية الثانية تحت عنوان : قصائد  
من جمر... وماء...  
إن شأن هذه المصافحة تخص الشعر  
لأن صالح الطرابلسي شاعر فهو يعشق  
الطبيعة ويهجم باللغة ويهوى الكلمة  
الحميلة فوردت قصائده في أسلوب  
رومانسي جذاب مضمونها يتناول  
قضايا إنسانية ووطنية واجتماعية فيها  
حساسيات وجدانية سامية. أما  
الشكل لديه فينخرط في سيل الشعر

الحر الحديث له إيقاع مؤثر رثان.  
تقتطف من مجموعته الأولى ما يندرج  
ضمن الخيال الشعري :  
لموج البحر بين جوائحه  
هدير  
ولصوت الأرض ما بين الشفاه  
هديل  
وفي القلب أشواق وتوق إلى مدن  
بلا أسوار  
وفي أجواء لم يلوثها دخان  
نورس يطير  
في محبته على درب الثقافة رافقه  
صديقه العزيز علي مصدق مدير دار  
الثقافة بممرناق حيث نشطا وتعاونوا  
وناضلا معا. ففي كتابه "قصائد من  
جمر... وماء" الصادر سنة 1997  
أخصه بإهداء جاء فيه : إلى الأخ علي  
مصدق... صديقا مثقفا إلى حد  
الهُوس !! ومحبًا للإبداع  
والمبدعين !..  
وضمن الأسرة الثقافية بممرناق نذكر  
الرسم عبد العزيز الدريدي الذي  
ابتكر أسلوبا في الرسم يستوحيه

وتمقرين مع الأستاذ المنجي بن إبراهيم وشارك معه بالتالي في تقديم عروض مسرحية.

ومن عشقه للثقافة فقد اغرط في حقلها يزرع ويحصد، أصبح عضوا باتحاد الكتاب التونسيين سنة 1990 ومن مؤسسي فرعه بولاية بن

عروس. ساهم في التنشيط الثقافي محليا وجهويا ووطنيا. رئيس اللجنة الثقافية المحلية بمرناق منذ مدة طويلة حيث ساهم في تأسيس

المهرجان الثقافي الصيفي ومهرجان أدب الطفل وهو عضو ببلدية

مرناق مساعد رئيس البلدية، رئيس

اللجنة لشؤون الثقافة والشباب

والرياضة ودائم الحضور على

المستوى الجهوي في التظاهرات

الثقافية والاحتفالات الوطنية، معبرا

عن نضاله الشامل هاتفا : إن هذا

التنشيط الثقافي يعطينا شحنة

ويزودنا بطاقة للمضي قدما في مواصلة

النضال.

من قصائد الشعراء وقد انطلقت تجربته برسومات لقصائد صالح الطرابلسي فأقام بالتالي معرضا عنوانه

"شعر وصورة" حول قصائد لعدة

شعراء بداري الثقافة بمرناق وبقليبية

وبمقر اتحاد الكتاب التونسيين

سنة 1988.

وحول عشق صالح الطرابلسي للغة

نقتطف من مجموعته الثانية "قصائد من

جر... وماء..." هذه الأبيات :

ما الذي يدهش..

أن تعري جسدها...

سحر الغموض ؟...

أو تعريك فيها

الذي يدهش !

أن تفشي إبعاءها فيك

فتزهر الروح صورة مثلي

ثم تنبحس !

إلى جانب كتابة الشعر نشط صالح

الطرابلسي في فن المسرح فخاض تجربة

التنشيط إذ كان من أول المنشطين

المتطوعين بداري الشباب بين عروس

## تمغزة

شعر : سالم المساهلي

ذات ربيع جمعي بعبير الرمل والنخل القائم في الجنوب :

زرنا "تمغزة" والسَّراط "معذب" \*

والعاشقون مُشرَّق ومغرَّب

النخل أعلى والسحابة دونه

شلال درّو الرّميّلة مركب

ARCHIVE

الأرض تعرف أنّي أحبّها

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أما قدّهدتني و شوقا يغلب

الأرض تعرف أنّي مهرّبها

و خليلها الصّادي الأبيّ الأنسب

ما أبرأ التّرييح مثل عبيرها

يجلو السّامة والغمام ويشطب

الحبّ دون الأمّ ساعة نشوة

تسقيك من و هم الوصال فتكذب

لكنّ نبع الوصل ثدي أميمة

نخل وزيتون وضرع يحلب

نهر و أنسام و خيل حرّة  
أنس و علّان و عرق ضارب  
وهي القصيدة راية مسكونة  
بالتوق و الإقدام حين يصوّب  
"خضراء" يا ملء الفؤاد تسامقي  
أنت الرّحاب المصطفى و الأطيب  
قد يدّعي الساهون عنك محبة  
ويروغ منك مخاتل و مخرب  
لكنّ حبّ العاشقين عبادة  
عذرية لا يحويها المكسب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

\* جبل "معذب" بين توزر و تمغزة بالجنوب التونسي

## أنشدُ طريقا

شعر : سعيد الشابي

أماه ! .. أناديك ...

أما تسمعينني ؟ ...

أنا ... أحسست بالوجع ،

يقتاتني ...

أحسست بالأمراض ،

تحتسي جسدي ...

ARCHIVE \*

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حتى مشاعري ، يا أمي

بانت ثقل مضجعي

تؤرقني .. تغربني ...

وأنا الآن أنشد وطننا ...

رافضا موطني .

\* \* \*

أبحث عن تراب ...

غير ترابي ،

هذا الذي لوّثني .

أبحث عن تراب

غير ترابي ...

يحميني ... ويضمّني .

أبحث عن فضاء ...

عن كون ، ...

بلا ربّ يراقبني ،

يحذّرني .

\* \* \*

أبحث عن عالم ،

الرّبّ فيه صديق ...

أسأله ! فيجيبني .

بلا رعب ... أجيئه ،

حين يسألني .

طليقا ... يتركني ...

حرا أعبدّه .

كما شئت ... لا

كيف يشاء ...

أو يحرقني ...

يعذّبني ... لأنني ،

أردت شيئا ...



لا يعجبني ! ... ويعجبني .

أرأيت أماه ؟؟؟

ما فعلت ؟ ...

حين أنجبتني ،

عبداً ضئيلاً ...

مكبراً ... أسيراً ...

حين قبلت من أبي ،

لغزاً مبهمًا .

كرها ... حملتني

ثم كرها ... لفظتني ،

رواسب منك

رواسب منه <http://Archivebeta.Sakhril.com>

من أصولكما ...

من ...

عصيان آدم ،

بقايا خطايا ... عذّبتني ،

عذّبتك ...

خنقتك ... خنقته ...

وها اليوم ... نخنقني .

ماذا لو بقيت روحاً ؟ ..

بلا جسد يعذّبي



لو كنت حمادًا أخشاه  
أسبّح ذاتيا ،  
دون عقل ، يجادلني .

\* \* \*

أنا ماء طهور ...  
إلى آسن حوّل ...  
صُب ، ... في ظلمات ...  
لا أعلم ما هي ...  
مادني ؟ ... أن أحمل ؟!

خطايا صَبَّ !  
راق غري ؟  
ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\* \* \*

أنا أمّاه ! ...  
لا زلت أنقب ، ...  
أفتش ، ...  
عن ودود يرعاني ، ...  
ويرحمي ...  
لا يتركني ...  
إلى الشيطان ، يُغازلني  
... يصادقني .

لَا يَنْظُرُهُ ، ... وَلَا  
أَمَامَهُ يُضْعِفُنِي ...  
ثُمَّ إِلَى الْجَحِيمِ ، ...  
يَسُوقُنِي .

\* \* \*

غَرِيبٌ عِنْدِي ...  
أَمْرٌ رِيٍّ ... يَا أُمِّي  
نَادَيْتُهُ أَيْضًا ....  
كَمَا الْآنَ أَنْادِيكَ ،

وَلَا أُدْرِي ! ...  
إِنْ كَانَ يَسْمَعُنِي .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وَأَعْلَمُ أَنِّي ، ...  
سَأَرْجِعُ يَوْمًا ، ...  
وَيَسْأَلُنِي ...  
يَقُولُ الْأَيُّمَةُ .

\* \* \*

وَالْآنَ ! ...  
أُبْحَثُ عَنْ جَوَابٍ ...  
عَنْ طُحْرٍ ...  
عَنْ نُقَاءٍ ...

إليه يشدني .

\* \* \*

فأنا نيتي ... تعبت ،

ورسالي ...

ضاعت من يدي ،

زمان كنتُ صبيًا

لا أعني ...

ومعني ...

حقائب ماضي ...

فيها دست زخارف ...

من نسج الأباليس ...

وضعفت .

ضعفتُ ، ... و

فقدان عصم الله ...

أسقطني .

فما عدت التَّيَّ ، ولا

خليفة الله الوفي .

فقط ! ... أنا انسان ...

أرجو ...

غفران القوي .



## إنه الريح

بقلم : د. علي القاسمي \*

في كل مرة مشيت إلى أطلال مدينة (الورقاء) الأثرية، اجتاحني شعور قوي بأن حادثاً ما سبق لي غامض لجوج بأنني سألتقي مخلوقاً غريباً، إحساس خفي ملحاح بأن هنالك كائنات ما ترصدني من خلف الروابي أو من وراء الأكام. ولكن شيئاً من هذا لم يحصل. الحياة الاقتصادية على الزراعة، كان نشأت في قرية صغيرة واقعة كانت النائم بأوقات فراغ كثيرة تستلقي برفق وحنان على ضفة نهر الفرات اليمنى في منطقة السماوة في جنوب العراق، وهي المنطقة التي كانت قديماً تشكل جزءاً من (بلاد سومر)، وتقع فيها مدينة الورقاء. وكان نهر الفرات يمر في مدينة الورقاء غير أن مجراه تحول تدريجياً عنها بمحور الزمن حتى أصبح على بعد بضعة أميال منها ما أدى إلى اندثارها بحيث لم يبق منها اليوم إلا أطلال خاوية ونباتات لا يسكنها إنسان. وكان يحلو لأهل قريتي أن يزعموا أن قريتهم هي وريثة الورقاء، أو هي التي نشأت بعد اندثارها، على المجرى الجديد لنهر الفرات. وفي قرية مثل قريتنا حيث تعتمد الحياة الاقتصادية على الزراعة، كان نشأت في قرية صغيرة واقعة كانت النائم بأوقات فراغ كثيرة تستلقي برفق وحنان على ضفة نهر الفرات اليمنى في منطقة السماوة في جنوب العراق، وهي المنطقة التي كانت قديماً تشكل جزءاً من (بلاد سومر)، وتقع فيها مدينة الورقاء. وكان نهر الفرات يمر في مدينة الورقاء غير أن مجراه تحول تدريجياً عنها بمحور الزمن حتى أصبح على بعد بضعة أميال منها ما أدى إلى اندثارها بحيث لم يبق منها اليوم إلا أطلال خاوية ونباتات لا يسكنها إنسان. وكان يحلو لأهل قريتي أن يزعموا أن قريتهم هي وريثة الورقاء، أو هي التي نشأت بعد اندثارها، على المجرى الجديد لنهر الفرات. وفي قرية مثل قريتنا حيث تعتمد الحياة الاقتصادية على الزراعة، كان نشأت في قرية صغيرة واقعة كانت النائم بأوقات فراغ كثيرة تستلقي برفق وحنان على ضفة نهر الفرات اليمنى في منطقة السماوة في جنوب العراق، وهي المنطقة التي كانت قديماً تشكل جزءاً من (بلاد سومر)، وتقع فيها مدينة الورقاء. وكان نهر الفرات يمر في مدينة الورقاء غير أن مجراه تحول تدريجياً عنها بمحور الزمن حتى أصبح على بعد بضعة أميال منها ما أدى إلى اندثارها بحيث لم يبق منها اليوم إلا أطلال خاوية ونباتات لا

الحفظ ماشيا. فكنت أتوجه إلى السهوب والحقول الهائلة التي تحيط بالقرية حيث لم أكن أسمع فيها شيئا إلا ما ينتهي إليّ أحيانا من ألحان حزينة تنبعث من ناي راع عاشق، أو هديل قبرة مهاجرة أو نواح حمامة وحيدة، ولم أكن أرى فيها إلا بعض الأغنام أو الأبقار التي ترعى على البعد بتكاسل.

وذاث يوم وأنا أذاكر دروسي خارج القرية، واصلت المشي مأخوذاً بجمال الطبيعة وسحرها حتى بلغت أطلال مدينة الوراق. وكنا - نحن التلاميذ - قد قرأنا عنها في دروس التاريخ وسمعنا بأساطيرها وحكاياتها من أهاليها ولكننا لم نزرها. ولجتها غير هباب. فانبهرت باتساع طرفاتها وضخامة أبنيتها وسمك جدرانها والنقوش الجميلة على الحيطان، والتماثيل المنبتة في ساحاتها. ولكنها مدينة شبيهة مهجورة لا يسكنها إنسان ولا يصل إليها أحد، وهي بعيدة عن الطرق والحركة والحياة، تفرق في أعماق الصمت، وتنام في سويداء السكون. ومما أعجبني فيها أن درجة الحرارة في طرفاتها تقل عن درجة

عادة فإن موضوعات الحديث نفسها ضيقة المساحة. ولكن قريننا كانت الاستثناء، لأنها توارثت رواية أحداث التاريخ السومري جيلا عن جيل. فكان أهالي القرية يتناقلون قصص الملوك السومريين وحروبهم قبل الطوفان وبعده، وأساطير الديانة السومرية، وعلاقات الآلهة بعضهم ببعض، وكأنهم مازالوا يعيشون بيننا أو كأن القرية ظلت مسكونة بأرواحهم.

وفي أول سني المراهقة بعدما بلغت الحلم، كنت في السنة السادسة في المدرسة الابتدائية الوحيدة في القرية. وكانت طريقة التدريس آنذاك تعتمد على الحفظ والاستذكار أكثر من التحليل والتعليل. فكان عليّ حفظ نصوص شعرية أو نثرية كثيرة واستذكار دروس الجغرافية والتاريخ التي كان أغلبها يدور حول تاريخ العراق القديم ابتداء بالسومريين. ونظرا لأن منزلنا كان مكتظاً بإخوتي الصغار ضاحاً بلبعهم وصخبهم، فلإني كنت مضطرا لتوخي الهدوء خارج المنزل لحفظ دروسي. وهكذا اكتسبت عادة

استفهام تعوزها نقطة في أسفلها. يبقى  
معي ذلك الإحساس دون أن يحدث  
ضجة ولا ضوضاء، فهو لا يشغلني عن  
واجباتي المدرسية ولا يمنعني من مواصلة  
نشاطاتي في المنزل، ولكنه يجعلني في  
حالة تحفز دائم وانتظار مستمر، ريثما  
أمشي مرة أخرى إلى أطلال مدينة  
الورقاء فيتلظى في أعماقي وتتصاعد  
دقات قلبي. وعلى الرغم من أن الورقاء  
تدخل في نفسي ذلك الشعور الشبيه  
بالنوح والحنين، فإنني لم أستطع  
مقاومة الرغبة في الرجوع إليها كأنني  
كنت متحذبا من الاستطلاع أو برغبة  
لم أعرف كنه تلك الهيام كان حقيقته في الكتمان عن ذلك السر.

و ذات يوم في مطلع الربيع اقتربت  
من الورقاء بلهفة مشتاق، وقلب  
خافق. وكانت الشمس تبتث بأشعة  
ذهبية دافئة إلى الحقول التي تفتحت فيها  
الزهور الزاهية الألوان فبدت الأرض  
مثل بساط سندسي لامع. و راحت  
العصافير والطيور ترسل تغريدها الجدل  
من أغصان الأشجار الباسقة وكأنها  
تردد لحنا جماعيا أو يناجي بعضها بعضا  
بوله واشتياق.

الحرارة المفرطة في القرية خاصة في  
أواخر الربيع وأيام الصيف حين تشد  
الحرارة في قريتنا. ومنذ ذلك اليوم  
أصبحت الورقاء مكاني المفضل للذاكرة  
دروسي، خاصة أوقات العصر بعد  
الانصراف من المدرسة وأيام الجمع  
والعطلة المدرسية.

وفي كل مرة اقتربت من الورقاء كان  
ذلك الشعور الخفي براودي ويلج علي،  
يطل علي من بين سطور الكتاب الذي  
أقرأ، ويندس بين أصوات العبارات التي  
أحفظ، يلزمني كما لو كان جارحة  
من جوارحي أو نبضا من نبضات قلبي.  
لم أعرف كنه تلك الهيام كان حقيقته في الكتمان عن ذلك السر.

يتتابني إحساس بأني سألتقي شخصا ما،  
أو أنني سأشهد أمرا ذا بال، أو أنني  
سأعثر على كثر مخبوء، أو سأطلع على  
سر دفين، فأتلفت بمخنة ويسرة وأستدير  
إلى ورائي فلا أرى إلا الإطلال الجالمة  
بضمت أو الشمس الغاربة أو الحقول  
الساكنة.

و كنت أعود إلى منزلي وقد ترسب  
في أعماق خاطري ذلك الهاجس  
اللامنتظر، سؤال بلا جواب، علامة

كان يحيط بالمدينة سور عال شبه دائري صمد في وجه الزمن آلاف السنين، له أربع بوابات تطل على الجهات الأربع. دخلت من البوابة الشرقية لسور المدينة القديمة وولجت الطريق الرئيس فيها المسمى "شارع الموكب" (وكت حفظت أسماء شوارعها ومعابدها وقصورها وساحاتها من اللافئات التي علفتها عليها مصلحة الآثار). ودلفت منه إلى يميني بمحاذاة القصر الملكي الذي كانت تزين جدرانها رسوم محفورة على الحجر حيوانات منجحة برؤوس آدمية، ورسوم لأسلحة متنوعة ربما كان الحاربون في ذلك الوقت يستخدمونها في معاركه الضارية. وبعد ذلك مررت بمعبد عشتار، إلهة الحب والخصب لدى قديماء سكان بلاد ما بين النهرين. وعلى مقربة منه كانت ثمة زقورة شائخة، وهي بناء هرمي مدرج يرتفع نحو السماء كان السومريون يعتقدون أن الآلهة تستخدمه للترول إلى البشر كما كان الناس يرددون عند التعبد ظناً منهم أن دعاءهم يكون أقرب إلى

الآلهة. وبعد خطوات قليلة بلغت ميدان المدينة المتسع، حيث جلست على صخرة مستطيلة كانت قاعدة لمسلة القوانين المدونة بالخط المسماري، فقد كان ملوك البابليين الذين آلت سومر إلى حكمهم في الألف الثاني قبل الميلاد ينصبون في الساحة الرئيسة لكل مدينة مسلةً دوت عليها قوانين البلاد ليطلع عليها المواطنون ويعرفوا حقوقهم وواجباتهم. غير أن علماء الآثار الألمان الذي نَقَبُوا في ذلك الموقع الأثري نقلوا تلك المسلة إلى متحف برلين قبل الحرب العالمية الأولى ولم يتمكنوا من اقتلاع قاعدتها المصنوعة من حجر الغرانيت المثبت بعناد في أعماق التربة فقيتُ هناك مثل مصطبة مستطيلة كبيرة. فجلست عليها أقرأ في كتابي المدرسي.

كنت غارقاً في حفظ قصيدة للشريف الرضي طلب منا أستاذ اللغة العربية حفظها عن ظهر قلب ذلك الأسبوع، ما أزال أتذكر مطلعها: ولقد مررت على ديارهم

وشفتان حمراوان ممثلتان توهجان حمرا  
وتفيضان لذة. لحنها شمسي مسرعة  
بخطوات منعمة كما لو كانت ترقص  
للربيع والفرح.

بقيت جالسا ساكنا في مكاني هنيهة،  
ثم ملمت أشلاء فكري التي شتتها  
المفاجأة وجمعت قواي ولحضت. سرت  
يحذر محاولا أن أترصدها دون أن تراهي  
أو تشعر بوجودي. يا إلهي، أين رأيتها  
من قبل، فلامحها ليست غريبة عليّ.  
إنها تذكرني بفتاة أعرفها أو امرأة  
التقيت بها، لا أدري أين ومتى. انتهت  
إلى السور الكبير، خارجة من بوابته  
الغريبة إلى: حيث تبدأ الحقول والمراعي.

بقيت أرقبها مخبئا وراء تمثال ينتصب  
مثل حارس على البوابة.

هنالك عند السور، كان ينتظرها  
راعي شاب أسمر، يرتدي قباء سومريا،  
وفي يده عصا طويلة، ويقف تحت ظل  
نخلة غزيرة السعف والخص. ألفت  
بنفسها بين ذراعيه، فضمها بلهفة إلى  
صدره. قرّبت وجهها من وجهه فراح  
يلثم جيدها وعينيها ويديها، ثم انحنى  
راكعا مقبلا قدميها.

وطولها بيد البلسي لمب  
وتلقت عيني فمذ خفيت  
عني الطول تلسفت القلب

حين شعرت - ربما عن طريق حاسة  
سادسة - بأن كائنا ما أو شخصا ما  
مرق من خلفي خارجا من معبد  
عشتار. مذعورا رفعت رأسي بسرعة.  
وبشيء من الخوف تطلعت حولي فلم  
أر شيئا. لحضت من مكاني واقفا،  
حذقت ببصري طويلا فلم أتبين شيئا.  
عدت إلى مقعدي ولكنني لم أستطع أن  
أعيد نظري إلى الكتاب فظل سارحا  
بين الأطلال بتواصي، باحثا عن  
الجهول.

وفجأة، ومن فجوة شارع بين  
النباتات.. لحنها، فبهت. كانت فتاة  
رائعة الحسن، فارعة الطول، ممشوقة  
القوام، ذات صدر ناهد نافر، وخصر  
نحيل، وردفين مكتزين. ينسدل على  
منكبيها العريضين شعرها الطويل  
التموج المبهف مثل شلال. كان لها  
وجه مشرق ذو ألق وهاء، تغشيك  
أنواره ومفاته من بعيد، وعينان  
كحيلتان واسعتان، وعقدان أسيلان،



انتظر ساعة الانصراف لأسرع نحو  
الورقاء قبل حلول المساء.

ذهبت عصر ذلك اليوم مسرعا إلى  
إطلال الورقاء. دخلت معبد عشتار  
باحثا عن الفتاة فلم أعثر لها على أثر،  
مشطت طرقات المدينة وأزقتها، فتشت  
في بناياتها، حذقت في أعالي أشجارها،  
دققت النظر في مداخل سراديبها، فلم  
أجد الفتاة. مجرد أطلال خاوية لا حياة  
فيها. اندفعت كإعصار إلى البوابة  
القرية ومن هناك أجلت النظر في  
المراعي أمامي باحثا عن الراعي ذي  
البقاء السومري فلم ألمح أي إنسان.  
كانت الشهور تمتد أمامي صامتة  
ساكنة لا حراك فيها. فعدت قبيل  
الغروب إلى منزلي تلفني الحيرة والحيرة.

دأبت علي فعل الشيء نفسه يوما  
بعد يوم حتى تمكن اليأس مني، فأخذت  
أعود شيئا فشيئا إلى مكتبي المدرسية  
ومطالعاتي، ولكنني لم أقفل عن إدماجي  
على المشي إلى أطلال الورقاء وحفظ  
دروسي وأنا أتجول في جنباتها.

وذاث يوم، وبعد أن جلست أستريح  
على قاعدة المسلة نفسها مواصلا

"معبودي، حياتي!" سمعته يقول لها.  
ثم تنامى صوته الموسقى إليّ وهي تجيب  
: "خذني إليك، فسأجعل نعجانتك  
كثيرة الخصب، مدارة الضرع،  
أضعاف حملها، وأبعد الذئاب عنها،  
وسأقودها ورائك على أنغام مزامرك."  
قال لها : "حبيبي ! معبودي !  
سأعطي قامتك الهيفاء بالفل والياسمين،  
وأمسح جسدك بالزبدة والحليب،  
واغسل رجلك بالطلّ والعطر... لم  
أعد أطيع فراقك لحظة. سأتي غدا  
لأحطبك من أملي، وأجذك إلى بيت  
الزوجة الرحب المتسع المتسع المراعي،  
فيوجودك تزدهي الشهور، وتشيخ  
الجداء، وتكتمل الأفراح..."

لم أعد أسمع بعد ذلك، فقد لفّ  
الدوار رأسي وتاه بصري، فأغمضت  
عيني وأنا مستند إلى التمثال. ثم تحاملت  
على نفسي وانسللت عائدا إلى القرية.  
وكمن يسير في نومه، عدت أنا والحلم  
إلى منزلي. لم أذق حساء أُمي ذلك  
المساء، وما غمض لي جفن تلك الليلة  
وما عرفت طعم النوم. وفي صباح اليوم  
التالي كنت في المدرسة ساهما ساهيا

قراعتي في كتابي المدرسي، أحسست بحركة مربية خلقي صادرة من معبد عشتار. أدرت وجهي بسرعة، لختها منطلقة نحو بوابة السور الجنوبية، كانت خطواتها رشيقة متتابعة كما لو كانت ترقص على إيقاع سريع، وكان فستانها الأبيض الطويل ينسحب خلفها مخلفا خطوطا متوازية على تربة الطريق مثل خطوط أجنحة الفراشة.

لخصتُ من مكاني، لحقت بها مسرعا. كانت قد خرجت من بوابة السور الجنوبية، فوقفت عندها محتشبا خلف ثمال، وحذقت فاغر الفم. وأبت فتاة لم أتأكد ما إذا كانت هي ذات الفتاة التي رأيته في المرة السابقة وقد بدلت من هيأتها ومظهرها أم أنها فتاة أخرى. كان لها الطول نفسه والوجه ذاته ولكن شيئا ما اختلف في ملامحها وتقاسيم وجهها. كان شعرها، هذه المرة، يتدل على كتفيها في ذؤابات طويلة مثل ستابل القمح قبل الحصاد، وكانت عيناها العسلتان تشعان من بعيد مثل زهرتين من زهور عباد الشمس، وكان لهداها النافران مثل

للمحود والعطاء... " قال لها: "حبيبي! لم أعد أحتمل البعد عنك. سآتي غدا إلى داركم لأحيطك من أمك وأحذك معي إلى بيت الزوجية حيث نرفل بالسعادة والهناء..."

في الطريق إلى القرية، كان رأسي الصغير مثل خلية نحل تدور فيه الرؤى والأسئلة. كنت أفكر في تلك الغادة الحسنة. ترى من تكون؟ أهي ذات الفتاة التي رأيته في المرة الأولى أم هي شابة أخرى؟ من أين خرجت؟ وأين تعيش؟ ومن هو ذلك الراعي؟ ومن هو ذلك الفلاح؟ فأنا لم أرهما من قبل في قرينتا. أتراهما قدما من قرية أخرى.

في تلك الليلة لم أستطع النوم بعد أن  
أويت إلى فراشي. كنت أتقلب من  
جنب إلى آخر حينما استنشقت عبق  
المسك فأدركت أن أُمِّي قد دخلت  
غرفتي فتظاهرت بالنوم. اقتربت من  
فراشي، وضعت يدها اليمنى برفق على  
جبهتي وأمسكت كلتا يدي بيدها  
اليسرى. قربت وجهها من وجهي  
فشمت رائحة الحناء المنبعثة من  
ذوائبها ممزوجة بالمسك وهي تقبلني  
على جبين، وهمست إلي بصوتها الدافئ  
الحنون متسائلة :  
"ما لك يا حبيبي؟" منذ مدة وأنت لغز : "إنه الربيع، يا حبيبي !".

لست على ما يرام ؟  
http://Archivebea.Sakhrat.com

\* الدكتور علي القاسمي : كاتب عراقي مقيم بالرباط - المغرب

والفلاح دائم الخدب على أرضه فهو يؤمن أن "الأرض تعطيها  
تعطيك" أي كلما ضاعفت جهدك أعطتك محصولاً أوفر وأن "في كل  
حركة بركة".

وقد تفتقت قريحة الفلاح التقليدي فاستنبط تقويماً فلاحياً شمسياً سماه  
بالسنة العجمية وشهورها تتوافق مع فصول السنة الأربعة وهي على النحو  
التالي: "أي النار، فرار، مارص، بريل، ميو، يونيو، أوسو، أغشت، شتير،  
كتوبر، نغمير، دجنير".

مختار المومني

## قصة قصيرة :

## "عودة الياسمين"

بقلم آمال يعقوبي

حين قررت سيمون الزواج من سمير المهاجر العربي الذي يواصل دراساته العليا في الهندسة ... كانت تعلم أنها تتحدّى رأي أسرهما التي ترفض مبدأ هذا الارتباط ... لما له من انعكاسات سلبية على حياتها ... وأنها بهذا التحدي ستخوض مغامرة بمجولة العواقب ...

ولقد أثار قرارها المتسرّع غضب أمها كانت تعشق سحر الشرق منذ طفولتها... ولطالما انبهرت بأفانيس

والرجوع إلى وطنه والاستقرار مع أهله ... وطلب منها الزواج والعيش معه هناك ... فوافقت بسرعة ... لقد طار بها جنون الحب إلى أجواء بعيدة من الحلم ... فأفتتن قلبها وعميت بصيرتها...

فكانت تعشق سحر الشرق منذ طفولتها... ولطالما انبهرت بأفانيس

ألف ليلة وليلة... وكان هذا دافعا لأن تنحذب لا شعوريا نحو سمير الذي وجدت فيه الصفات التي كانت تحلم بها...

أحانتها حين يعون ...

ولكن ...

المعجزات ... !

تنظرين يا ابني للحياة برومانسية شديدة ...

وهذا ما يجنيها بالذات ...

- ولما التشاؤم... وسمير شاب طيب  
...يحبنى بصدق... وأهله يباركون  
علاقنا ...
- وأنت تبالغين في الثقة هؤلاء العرب  
...إنهم يختلفون عنا في التفكير، عاداتهم  
وطريقة عيشهم مغايرة لنا... فكيف  
ستمكنين من التأقلم مع مجتمعهم...؟  
وتستطرد بعد تفكير عميق :
- ها صعب يا ابني وعجيب بالنسبة  
لخالتك... أنت رقيقة المشاعر وعاطفية  
... يغلب عليك التأثر ومن السهل  
وقوعك في شرك العواطف الوهمية...  
رجتها سيمون بأمل !  
- ادعي لي يا ماما بالتحاح
- قالت الأم بلهجة فيها حنو: فلتصحبك  
بركة السيد المسيح .
- بقيت تلك الخدمات عالقة بذهنها  
وصداها يرن باستمرار..
- وأصبحت تلك التخمينات المسبقة  
مبعثا للندم والحسرة في نفس سيمون  
عندما أفافت من وهم الحب... وبعد  
أن شربت من كؤوس العسل... ذاق  
مرارة العلقم بعد الزواج ...
- تحول سمير بعد عودته إلى أرض الوطن  
إلى شخص آخر ...
- لقد لاحظت عليه هذا التحول المفاجئ  
... لم يعد الشخص الأول الذي أحبه  
في وطنها ... ذلك الشاب المتحرر  
المتفتح على العصرية... الذي شاركها  
أندية اللهو وحلية الرقص... لم تعد  
تسمع منه غير "هذا عيب أو هذا حرام  
عندنا..."
- "لا تلبسي هذا الفستان القصير أمام  
أهلي..."
- أصبحت بخية أمل شديدة  
... خرجت في كبرائها وأنوثتها  
... كانت تأمل أن يكون حنوناً متعاطفاً  
... معها
- تذكر كيف ألما سألته في ساعة صفاء  
حاولت فيها التقرب منه :
- لماذا تغيرت معي يا سمير...؟  
لم أعهدك من قبل متسلطاً تقليدياً  
... ماذا أصابك...؟
- لازلت نفس الشخص الذي عرفت  
... ولكن الظروف هي التي تغيرت،  
فنحن اليوم نعيش سوياً مع أهلي  
... وهم أناس محافظون يحترمون التقاليد  
والعادات العربية الإسلامية... ومن

- الضروري التكيف مع غمط العيش  
هنا...  
- ولكن ولم تكن هكذا عهدك من  
قبل... أين الأحلام الجميلة التي  
تصوّرها معا...؟  
- اصبري يا سيمون... ونعملي معي  
حتى نصل إلى برّ الأمان...  
- تقصد الوصول إلى إمام البيت الذي  
شرعت في بنائه...؟  
- بالفعل... حين تتمكّن من  
الاستقلال عن العائلة... سأوفيك  
بالعهد الجميلة...  
- اقتنعت سيمون بعبور الأيام... أن  
الأمان والعهد لم تكن غير مما طلات  
معسولة اختلقها لتثير تغيره  
- إحساسها بالاغتراب كان مريرا  
... كانت تشارك أهل زوجها الجلسات  
المسائية وهي واجمة... أحيانا يأخذها  
الخيال وتعاودها ذكريات الوطن...  
قال لها مرّة أبو سمير الشيخ الطيّب  
الحاج أحمد بمودّة:  
- شاركينا يا ابنتي الحديث... نأخذ  
ونعطي في الكلام...  
ردّت سيمون بكلمات تونسيّة متعثرة:  
ولكنّي يا عمّي لا أجد العربية...  
- لا بأس يا سامية (وهو الاسم الذي  
أطلقه عليها) تتعلمينها بالتدريب...  
- أحبّت سيمون بالفعل تعلّم اللهجة  
التونسية... لأنها كانت تحسّ بالضيق  
والاختناق كلّما اجتمعت بصديقات  
العائلة وهنّ يحطنها بنظرات متفحّصة  
... أحيانا كنّ يغمغن بالكلام  
... ونظراقنّ فيها ابتسام ساحر...  
كانت تشكّ في انتقادهنّ لها...  
أحيانا تعذّبها نفسها بتصوّرات شتى  
... لعلّ ابنة خال زوجها الفتاة ذات  
الجمال الأحمر والتي تزورهم من حين  
لآخر لا زالت تفكر فيه...  
لقد أخبرها سمير من قبل أنّ والدته  
كانت تنوي خطبتها له...  
ولكن هو... اختار نصيبه...  
هذه الفتاة لا تفوقها جمالا ولكنها أكثر  
جاذبية...  
كان إحساسها الفظيع بالغربة ينمّي  
داخلها تصوّرات فيها الشكّ من  
تصرفات المحيطين بها... لقد افتقدت  
الشعور بالأمان...  
أحاطتها أسرة سمير بكلّ الحبّ والمعاملة

- الطيبة... ولكن هل هذا يكفي لتكون سعيدة...؟
- سألته مرة والغيرة تعصر قلبها ...
- ألم تعد تشتاق لطبخي يا سمير...؟
- وكانت أجابته فيها برود ...
- لقد مللت الأكلات الجاهزة والتي تفتقد البهارات ...
- ولكن...! وبالحية أملها عاملها برود ولا مبالاة... تساءلت مرّات عديدة بينها وبين نفسها... هل يمكن للانسان أن يتبدّل بين عشية وضحاها... بعد تغيير ظروفه البيئية أو الاجتماعية هل تنقلب جميع موازينه. بمجرّد عودته لجذوره وأصله...؟
- احترمت فيه تعلقه بوطنه... خصوصاً حين يضع الجبة التونسية الأصلية صيفاً ويجلس في فناء الدار العربي يدخن النارجية - الشيشة -
- كانت تلاحظ أمارات السعادة والانتشاء على محياه ...
- ولكن... كانت تتساءل بمرارة... هل تنسيه الأصالة... حتى أكلات زوجته التي كانت عبية إلى نفسه...؟
- أصبح يجتهد ما تطبخه أمّه الحاجة "فاطمة" وخاصة أكلة الكسكسي التونسي بالسمنك ...
- صمتت سمير... كانت تتألم من الداخلي... لم تكن تملك الجرأة لتثور... وبدأ صراع مرير يحدث بين الزوجين... وازداد حدة على إثر ولادة الطفلة الجميلة... حيث اختلف الزوجان على اختيار اسم لها ...
- أحب سمير أن يسميها على اسم جدته المتوفاة والتي كانت عزيزة على قلبه... "رقية" والذي وجدته سمير ثقيلاً على النطق بلهجتها الفرنسية، أحبّت أن يكون الاسم عصرياً وفيه تواصل بين الثقافة العربية والأوروبية مثل سارا أو "سونيا" ...
- واشتد الخلاف بينهما إلى أن تدخل الحاج "أحمد" بالحسن بين الطرفين محاولاً إيجاد حلّ يرضي الزوجين

الجميل... أمّا ملاحظتها فخليط متناغم  
بين شقرة والدحا وسمرة والدحا  
... وأحبّها الجميع... إذ أشاعت جواً  
من الفرح والبشر داخل الأسرة  
... وتعلّق بها سمر وأعطاها الكثير من  
وقته واهتمامه ...

أمّا سيمون فقد ملأت عليها ياسمين  
حياتها... ووجدت فيها خير أنيس في  
غربتها... خصوصاً وحالة الجفاء  
والتباعد قد تواصلت بين الزوجين ...

أمّا الخلافات بينهما فأصبحت منصبّة  
حول طريقة تربية ياسمين في المستقبل  
... سيمون تفضل التربية المتطورة  
العصرية المبنيّة على قواعد علم النفس

الحديث وإدخالها المدارس الخاصّة  
المرتكرة على تعليم الفرنسية ...  
وسمر يحدّد تعليمها العادات العربية  
الإسلامية منذ الصغر... والتركيز على  
لغة الضاد ...

وغاب الحبّ عن حياة الزوجين ولم  
تبق غير ظلاله الباهتة... أصبح يختلق  
المشاكل لأنفقه الأسباب وكأنه يريد  
استفزاز زوجته الأجنبية ووجد الثفرة  
في تشبّثها بديانتها المسيحيّة ...

... كان الحاج "أحمد" مولعا بزهر  
الياسمين التي تفتّن في غرامة أغصانها  
والعناية بها ...  
وكان سريع البديهة فخطرت له الفكرة  
وبادر لعرض حله :

- ما رأيك يا سامية أن تسمّي طفلتك  
الحلوة "ياسمين" إنه اسم رائع وعصري  
... أليس كذلك؟

ابتسمت سيمون... وبرقت عيناها إذ  
أعجبها الاسم ووجد هوى في  
نفسها...

- بالفعل يا عمّي... فيه رنين  
رائع... !  
قال سمر بتهكم :

- تقصدين فيه رنين غربي ...  
فتدخل الحاج أحمد بوّد :

- ليكون رنينه أرو عربي ...  
وكان شيخا على قسط من الاطلاع  
والثقافة فواصل :

- نرجو من الله أن تكون ياسمين في  
روعة هذا الزهر تجمع بين الجمال  
الغربي وسحر الشرق...

وسمّيت الطفلة الجديدة بالياسمين  
... كانت بشرتها في لون هذا الزهر



أحب سمير بعد الزواج أن تعتنق زوجته  
 الاسلام... وحاوَل بِشْتَى الطرق  
 إغراءها حتّى تغيّر ديانتها... إلا أنّها  
 أبت...  
 وأمسى هذا الرفض... باعثاً لمزيد  
 من التنافر بينهما... لاحظت مدى  
 التحوّل الذي يطرأ عليه خلال شهر  
 رمضان... إذ يلتزم بواجباته الدينية من  
 صوم وصلاة...  
 كانت تحسّ بالمعاناة وهو يرمقها  
 بنظرات نارية تعبر عن الازدراء حين  
 يفاجئها تفطر خلال الشهر المعظم...  
 ما ذنبها... أن كانت مسيحية.. وقد  
 قبلها من قبل على ديانتها أو لم يشترط  
 عليها تغييرها...  
 أصبحت سيمون تحسّ بعقدة الذنب  
 كلّما فاجأها سمير تلتهم بعض  
 الأكل...  
 وكأنها تقترف جريمة...  
 انتقدها مرّة...  
 - ألا تخجلين... الناس صيام وأنت  
 تأكلين... ألا تحترمين غيرك؟  
 - ليس من المفروض عليّ الصيام  
 ... لاني مسيحية...  
 ردّ عليها سمير بحمّة :  
 - بل أنت كافرة...  
 لم تتمالك نفسها هذه المرّة... فخارت  
 كالبركان... لم تعد تحتمل إهاناته  
 المتكرّرة...  
 - وأنت منافق... تدّعي التقوى  
 والحفاظة في وطنك... وتتحوّل إلى  
 عابث مستهتر في المهرجر... انفعلي  
 بشدّة... ولم يتمالك نفسه... وهو ي  
 عليها بصفعها بقوة...  
 بكّت بحرقه حتّى خنقتها العبرات  
 ... وتقطّعت العائلة للزراع...  
 عاتب الحاج أحمد ابنه قائلاً:  
 http://Archivebeta.Sakila.com  
 زوجتك على تغيير دينها...  
 - إنّها لا تحترم عاداتنا وتقاليدنا...  
 - الإسلام يا ابني دين الرحمة والتسامح  
 وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحترم  
 أهل الكتاب وألاّ نصيّق عليهم للدخول  
 في الإسلام...  
 - أصبحت أجد صعوبة في التعامل  
 معها لأنّها متشبّثة بثقافتها...  
 - هي أمور بدئية... لقد نشأت في  
 محيط ثقافي مغاير لنا تماماً... ومن

الصعب عليها التكيف مع عاداتنا  
وتقاليدنا ...  
واستطرد الشيخ الطيب يخاطب ابنه :  
- عاملها يا ابني بتفهم ولين ... إلها  
غريبة بيننا ...  
باتت سيمون تلك الليلة مكسورة  
الخاطر كاللبوة الجريحة ... لقد طعنت  
في كرامتها من طرف أقرب الناس  
إليها ...  
وحاول سمر مرضاتها إلا أن عقدة  
الزهو والسيطرة منعتاه ... فكان مترددا  
بين الإقدام والإحجام ... كان يقاوم  
صراعا ذاتيا بين الندم من قبضته على  
زوجته ... والنقمة على عيادها ...  
ولم تنتظر سيمون أن يهتدي إلى الحل  
... بل اتخذت ليلتها قرارا لا رجعة فيه  
... أن تأخذ ابتها وتغادر البلاد  
... ونفذت صباحا ما عزمته عليه  
... فبعد خروج سمر إلى العمل  
... حملت ياسمين وبعض أغراضها  
الضرورية وتوجهت نحو المطار ...  
لما عاد سمر مساء ... لم يجد زوجته  
وابنته ... تركت له سيمون رسالة  
شرحت فيها أسباب رحيلها ... صدم

للأمر ... لم يكن يتصور أن قهره  
سيمون بهاته السهولة وتأخذ أحب  
الناس إلى قلبه ... فلذة كبده ياسمين  
... تلك الزهرة التي فاح أريجها  
وأشاعت البشر والسعادة بين الجميع ...  
بعد رحيلها أصبح البيت قفرا ... مظلم  
كالليل الدامس الذي غاب قمره  
... سمر يسر كالثائت .. واجما ... شاردة  
... لم يستوعب بعد ... ما جرى له  
... اشتدت عليه آلام معدته وازدادت  
فروجا ...  
فلازم الفراش لعدة أيام ... كره العمل  
وانسدت نفسه ... وأصبح على حافة  
الانحيار ... ألقى الحاج أحمد وبقية أسرته  
... فقد نأسفوا لما حدث ... أصيبوا  
بحزن شديد لغياب ياسمين وأمها  
... حتى أن الشيخ الطيب أهمل العناية  
بشجرة الياسمين فذهبت أزاهرها ...  
لم تندمل جراح سمر بمرور الأيام ...  
بل تواصلت معه حالة الاكتئاب التي  
لازمته ...  
راحت ياسمين ولم تترك له غير عروسها  
يجد سلوى أحيانا في محادثتها وكأنه  
يخاطب حبيبته الصغيرة الغائبة

...وخافت عليه أسرته من الجنون  
...وأصبح الكلّ ينظر إليه نظرات الخنو  
والإشفاق ...

كان الجميع ينتظر رحمة من السماء  
تعيد له السعادة المفقودة... ولم ييأس  
الحاج أحمد من الصلاة والدعاء  
...وحدثت المعجزة ...

في إحدى الليالي... بينما كان سمير  
يتأهب للنوم... رنّ جرس الهاتف داخل  
حجرته الخاصة... رفع السّاعة  
...وترقّب لحظات إشارة المكالمة  
...ليستمع بعد لحظات لصوت اهتز له  
كيانه كلّهُ... سمع ياسمين عبر الهاتف  
...تكلمه بلغة ابنة الثلاث سنوات  
...بلهجتها المحبّة والتي تخلط العربية  
بالفرنسية ...

- أتصدّقون أنّ سيمون اتّصلت من  
فرنسا... وكلمتني ياسمين بشوق  
كبير...

برقت عيون الجميع بالفرح وسرّوا  
للمفاجأة... وقال والده بلهفة :  
- أطلبت منها الرجوع يا ابني؟  
ردّ سمير ييأس :

- لا أظنّها تقبل العودة للعيش معي  
محدّدا ...

لقد اشتاقت لياسمين إليك كثيرا  
...فلم أشأ قطع الاتصال بينكما...

- حاول يا سمير ملايتها والتأثير عليها ... إنها والدته انتك... وتصرفاتها تدل على أصل طيب ووفاء كبير ... وأيدت والدته رأي زوجها :
- بالفعل يا ابني... هناك العديد من الأمهات الأجنبيات حيث يأخذن أولادهن يحرمن الآباء من رؤيتهن أو حتى الاتصال بهم على مدى السنين... وحاول والده نصحه باعتداله المعهود :
- لقد كنت متصلياً في تعاملك مع زوجتك ... وسأله بفضول محبب وكأنه طبيب ماهر يسعى لتشخيص العلة :
- ماهي مطالب ميمون لما كانت تعيش معك ؟ رد سمير بعد تردد واحتشام :
- لقد كانت مطالبها كثيرة ... إنها... إنها تريد الاستقلال عن البيت العائلي... وأن يكون بيتها الخاص مؤثماً على الطراز الأوروبي ... وحثه والده على الاسترسال :
- إيه... وماذا أيضاً... ؟ وتريد العمل وبعث مشروع في الاختصاص الذي درسته... والأكثر جرأة أنها تريد العيش على النمط الأوروبي والاستهتار بعاداتنا وديننا... رد الشيخ برزانة :
- مشكلتك يا سمير أنك لم تساير زوجتك في ميولها... كأن تنتهج معها طريقة ديبلوماسية تخلق نوعاً من التوازن الثقافي بينكما ...
- عفوا... لم أفهم ما تقصده يا أبي... - كنت ترفض عاداتها وتقاليدها... بل حتى طبخها ولغتها ...
- أحببت أن تجارنا في طريقة عيشنا ونغطينا الثقافي... فالزوجة عندنا هي التي تتبع زوجها
- ولكن يا سمير... عملية التكيف الثقافي تأتي باللين والمران والصبر... ثم ألان من صوته وقال :
- ما ضرك لو جاريتها في الاحتفال بأعيادها الدينية... فستحاريك في الاحتفال برمضان والمولد النبوي عندنا...
- ديننا يقر بجميع الأديان... ويطالبنا باحترام أصحابها ... قال سمير :
- أتريدي يا أبي أن أتكيف مع نمط

- عيشها الأوروبي... وأنسلخ من عر  
وبيتي وأصالي...؟  
قال الشيخ بشيء من الغضب :  
- هل أصبح الشيوخ أكثر مرونة  
وتفتح من الشباب...؟  
ثم ألان من صوته وقال :  
- لم أقصد يا ابني الانسلاخ عن  
حضارة الأجداد... ولكن لا بأس من  
المجاعة والمعاشة المرنة بين الثقافات  
...إِنَّكَ لو استحسنْتَ أكلتها الأوروبية  
المفضلة... وطلبت منها طبخها بكلَّ  
الحبِّ... وقتها ستطلب نفسها لطبخ  
الكسكسي والملوخية...  
ثم واصل والده حديثه بفخر :  
- إننا شعب مرن... احتكَّت بنا  
حضارات وثقافات مختلفة... أثَّرت  
إيجابيا على طباعنا وسلوكياتنا...  
أطرق سمر يفكر... فأحسَّ والده بما  
يحتلج في صدره من آلام... وحاول  
التخفيف عنه...  
- أطو صفحة الماضي يا ابني  
...وحاول إصلاح ما انقطع من حبال  
الودِّ بينك وبين زوجتك... إِنَّ القلوب  
يا ابني جيلت على الإحسان...
- ردَّ سمر بلهجة منكسرة :  
- ولكنَّها تريد البيت المستقلَّ...  
- هذا من حقِّها - يضحك -... على  
الأقلَّ ترتاح من تدخلاتي...  
ثم واصل يشجَّعه:  
- لا تقلق بهذا الشأن... سأعطيك ثمن  
الأرض التي بعثها مؤخرًا... وذلك  
لاستكمال بيتك الجديد...  
- ولكن يا ابني...  
- لا تناقشني في هذا الأمر... سعادتك  
واستقرارك أهمُّ عندي من كنوز  
الدنيا...  
في الأيام التالية اتصلت سيمون  
...حتى تستلمح لابتها من مهاتفة  
والدها... واستغلَّ سمر هذه الفرص  
الذهبية ليطلب من زوجته بكلَّ الحبِّ  
والرجاء أن تعود إليه... فيطوبا صفحة  
الماضي بجفائنها وآلامها... كانت في  
البداية مترددة... فلم تعطه وعدا أو  
جوابا شافيا... صارحته مرَّةً غير  
الهاتف:  
- إنكم معشر العرب... تحلمون كثيرا  
...وعودكم حلوة معسولة... ولكنكم  
لا توفون بما...

- ردّ سيمر بمجدبة : ضحك سيمر وردّ :
- أقسم لك أنني صادق فيما أقول... - هذا شرف لي ...
- وهل قبلت مطالبي السابقة...؟ على إثر هاته المكالمة ...بدأت
- مطالبك على الرأس والعين...وهي سيمون تلين...فوافقت بعد محاولات
- في طور الإنجاز...وهذا برهان على متكررة على الرجوع إلى زوجها
- أنّ العرب ليسوا أصحاب قول فقط... وكان لهذا القرار صدى إيجابيا على
- ألم تقل من قبل أنّ الشرق والغرب نفسية سيمر الذي عادت إليه السعادة
- لا يلتقيان... فكيف حصل التغير...؟ ...بعد معاناة...
- بالحبّ والتفاهم لجعل هذين القطبين لا يلتقيان...
- هل تقبل أن نجعل والدك شاهد شجرة الباسمين أحسّت بسعادة الأسرة
- إثبات على صدق نواياك...؟ ...جديد... فشاركته الفرحه... وانتعشت من
- بل هو الذي شجعتني على الإنجاز لقد كان الحاج "أحمد" بمثابة نقطة
- ...ويتنظر عودتك وباسمك في الفراع... http://Archivebeta.org/...
- الصر... موافقه أحسن دليل على أنّ العرب أهل
- قالت سيمون بامتنان لطالما أثر في حوار وشجاعة في الرأي وأنّ القلوب
- إحسانه وكرمه...إنه رجل عظيم... جبلت على الإحسان والرحمة...

## الدورة الثانية للملتقى : حوار الحضارات بجزيرة

بقلم : الأزهر النفطي

تحت شعار « السياحة الثقافية أصالة وترفيه » لتعميق الحوار في مواضيع ذات صلة عضوية بالسياح والمهنيين والمواطنين بحضور أسماء بارزة على المستويين الوطني والدولي أسهموا بمحاضرات علمية قيمة أقيمت بالفكرة الرصينة والصورة الحية المجسدة لخصائص المواقع والمعالم والمتاحف ومكوناتها الأثرية والتاريخية لرصد ما تحقق من إنجازات ونتائج مرجوة في مجال السياحة الثقافية واستشراف الآفاق الواعدة لهذا المجال الحيوي الجديد باعتباره قيمة مضافة في إثراء القطاع السياحي وتغذية الدورة الاقتصادية بداخيل وافرة من العملة الصعبة .

وقد سعى المنظمون والمحاضرون إلى تفعيل أشغال الملتقى وإحداث نقلة نوعية بتمكين جمهور الحضور من تونسيين وأجانب من تعميق الحوار بهدف تطوير استثمار التراث وتحويله إلى مصدر فذ من مصادر القطاع السياحي ببلادنا . وفي هذا الإطار اعتبر السيد بشير

تحت إشراف السيد منذر الزنايدي وزير السياحة والتجارة والصناعات التقليدية والدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة والشباب والترفيه احتضنت جزيرة جربة الدورة الثانية للملتقى حوار الحضارات الذي عشنا دورته التأسيسية الأولى في السنة الماضية بمبادرة تنظيمية رائدة من أصحاب العزائم الصادقة بجمعية مهرجان جربة إيليس حيث وجدت المبادرة الدعم والتشجيع من سلطة الإشراف وطنيا وجهويا والحماس والتجاوب من أهل الفكر والأدب والثقافة بربوع الجنوب الشرقي . والتظاهرة فسحة فكرية وأدبية وحضارية موجهة أساسا لجمهور السياح الأجانب المولعين بحوار الثقافات وأيضا بسكان الجزيرة المهتمين بالحركة الفكرية والثقافية ولضيوفهم الذين لاذوا بالجزيرة فرارا من صائفة الجمر للتمتع بجاذبيتها الساحرة وبشواطئها الجميلة لتغذية العقل والجسد على حدٍ سوي . وقد انتظمت فعاليات الدورة الثانية

القطاع ممّا كثّف مجهودات الدولة على المضىّ قدما في تطوير المنتج السياحي وتنويع مصادره وخلق حركة مستطوّرة لموروثنا الثقافي والحضاري في صلبه .

من هنا كان اهتمام الدولة بمجال السياحة الثقافية ودعم قدراتها على كسب رهان المنافسة العالمية والانصهار الفاعل في مسار العولمة الاقتصادية بتحسين المنتج التراثي واستثمار مكوناته وإدماجه في صلب الدورة الاقتصادية لتحويل التراث إلى قطب سياحي متميّز .

وفي نفس الإطار تحدّث الأستاذة إمرا بلاطامورثي مديرة المتحف الجهوي بصقلية عن المسالك المتوسطية الحزف من خلال الوظائف المحورية لهذا المخزون الأثري والتاريخي بالمناخ المتوسطية والدلالات الرمزية التراثية والثقافية الضاربة بجذورها في القدم . وأبرزت الباحثة بالتعليق والصورة مكانة الحزف في التراث الحضاري فالتماحف المتوسطية غنيّة بهذه المادة الواضحة المعالم التي تدلّنا على الذوق الحسيّ والجمالي للإنسان المتوسطي عبر العصور .

وانطلاقا من هذه المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة العضوية بالتراث تحدّث كاتب هذه السطور عن الوظيفة المركزية للسياحة الثقافية في بناء

يوناب مدير مهرجان جربة إيليس الملتقى جسر تواصل وآلية تقارب وحوار وانفتاح على الثقافات العالمية وأداة تعريف بأهمية كنوزنا الأثرية والتاريخية .

وقد ترأس أشغال الملتقى بالتناوب السيّدان عبد الرؤوف الجمعي ممثّل الديوان الوطني التونسي للسياحة بايطاليا ومحمّد الباشا المندوب الجهوي للثقافة والشباب والترفيه بولاية مدنين ففسحا المجال للمحاضرين حيث تحدّث الأستاذ أحمد السماوي الوزير السابق وأحد أركان القطاع السياحي والخبير المستشار في المجالات الحيوية التي تشكّل العناصر التركيبية للمنتج السياحي ومنها مجال السياحة الثقافية فأسهب في الحديث عن واقع القطاع السياحي منذ مرحلة الستينيات من القرن الماضي إلى اليوم إذ شهد القطاع السياحي نقلة نوعية على مستوى تنوع المنتج والتوسيع الفعلي للأسواق السياحية وتوسيع العمليات الإشهارية الترويجية الكبرى لتفتح أسواق جنوب شرقي آسيا كاليابان وأمريكا الشمالية ...

وأبرز المحاضر في ذات الوقت الصعوبات والتحديات الناجمة عن التحولات الجذرية الكبرى التي يشهدها العالم والأزمات المرافقة لها ومنها أحداث سبتمبر 2001 وتأثيرها المباشر على



جمعية مهرجان جربة إيليس من أجل إنجاح  
الملتقى بالتنظيم المحكم والحضور  
ال جماهيري المتميز و الحرص الشديد على  
تأثير أشغال الملتقى ببحوث قيمة وحوار  
بناء فائنا ندعو أعضاء الجمعية للحفاظ  
على هذا المكسب الثقافي الحضاري ونقترح  
من الآن أن تنظم الدورة الثالثة للملتقى  
في صائفة 2004 تحت شعار (السياحة  
التونسية بين المشهد الإعلامي الوطني  
والانفتاح على قنوات الاتصال  
العالمية) .



الكيان الحضاري وإثراء مكونات المنتج  
السياحي باعتبارها مقوماً أمثل من  
مقومات التعريف بمخزوننا الثقافي  
والحضاري لبث الروح في كنوزنا التراثية  
العريقة .

### \* سهرة شعرية وفنية رائقة :

لقد دأبت جمعية مهرجان جربة إيليس  
على تنظيم سهرة شعرية وفنية للمزاجية بين  
الخطاب العلمي والعنصر الترفيهي و قد  
حضر سهرة الدورة الثانية للملتقى جمهور  
عريض من عشاق الشعر والطرب بين سياح  
ومواطنين قدموا من مختلف أرجاء الجزيرة  
للتمتع بسماع حرير الكلام وقد عبرت  
القصائد الشعرية التي قرأها أصحابها  
باللغتين العربية والفريسية وأيضاً  
الإنجليزية عن أبعاد إنسانية وحضارية  
وفكرية إذ اتسمت بمذاق ملحمي غنائي  
شفيف . وقد تخللت قصائد الشعراء :  
راضية الرياحي ومها بن عبد العظيم  
ونور الدين فارس وكاتب هذه السطور  
معزوفات موسيقية نشطها الطالب المتميز  
زهير الجيس حيث تمازجت الموسيقى مع  
حرير الكلمات فنفذت إلى القلوب وغذت  
المشاعر واجتاحت وجدان عشاق الشعر  
والطرب بسحر المعاني وطلاوة المفردات  
وجمال الصور الشعرية .  
ومع تسميننا للمجهودات التي بذلتها

## محطات

شعر : كمال الأمانة

العمر .. تحصده السنون

ومحطاتي .. فراق

رجفة الأهداب ..

تحضر الدموع

كالأفاعي في الحدود

وفم يتيم



ARCHIVE

وعلى الأوراق يتسهم التراب

<http://Archivebeta.Sawtill.com>

أحضان أفلامي

لا تحقق لي دعاء

أسراب آمال تضيع

لو عدت يوما بين أحضان تذوب ..

فعلى جناح الفجر يحشم الضياء

من يرجع الأيام وهي رميم

وحكايا الرمل تعجنها الضلوع

القلب أغصان تموت

على الطريق

## الضحكة الخرساء

شعر : ضحى بوترة

ضحكة خرساء ...

تترجع فوق الشفاه

تمتص رحيق الطين من عيون الجياع

تبتلع أصابعها ...



كالغضب ...

ARCHIVE

كالصفيق ...  
<http://Archivebeta.scribit.com>

ضحكة خرساء ...

مكتنزة بالأسى

تبحث عن الرحيل

في بطون القبور الخاوية

في رحم الديدان

تمرّد بلا ضجيج

الضحكة الخرساء ...

تعرى

تغوص في تجاويف الوهم

وعريدة الإثماء

المخضب بالضيايع

تركض ...

فوق شفاة المدينة

ARCHIVE

<http://Archive.org>

ترشف نقيق الغويان

تحرق غابات السماء

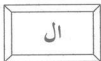
فندق نواقيس الموت

في أرض القحط

في أرض مصدعة

الإثماء

## إتحاف أهل اللسان



بقلم: عبد المجيد يوسف

حرف يكون في شكل صدر Prefixe يتصدر الأسماء، ويصنفه النحاة ثلاثة أصناف:

- الصدر المخصص لتعريف الأسماء
  - الصدر المضاف إلى الأسماء الموصولة ويسمونه الزائدة لكنهم يؤكدون على ضرورته لذلك فضلنا أن نطلق عليه "المضاف"، إذ ذلك ما يراد بالمصطلح القديم الذي هو حامل لمعنى إمكانية الاستغناء
  - الموصولة وهي اللاحقة المشتقات المولدة للمركبات شبه الإسنادية ويعقد لها ابن هشام في كتابه <sup>(1)</sup> المعاني مقالاً شديداً التفصيل والتوسع نوجزه في ما يلي
- اختزالاً دون إضرار:

- 1- أن تكون إلى إسما موصولا بمعنى "الذي" ومشتقاته وهي الداخلة على أسماء الفواعل وأسماء المفاعيل: الضارب --- الذي ضرب
  - 2- أن تكون حرف تعريف، وهي نوعان : عهدية وجنسية
- أ - العهدية: مصحوبها معهود <sup>(2)</sup>
- بالذكر: "كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعضى فرعون الرسول"
- (سورة المزمل 15)

<sup>1</sup> مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق ح الفاحوري. القاهرة بدون تاريخ

<sup>2</sup> الربط العهدي أن تذكر نكرة ثم تعود فتذكره معرفة بناء على المعرفة السابقة به، كقولك جاء في القافلة رجل... فسلمت على الرجل